لماذا التنظيم؟

المقدمة

حين نقترب من الحديث عن التنظيم، ودوره في الحفاظ على فاعلية الفكر، وقيمته كتجسيد على أرض الواقع ربما نقع في دائرة جدلية، مفادها: علاقة أو ارتباط الفكر بالتنظيم، وحين يكون الحديث عن التنظيم الهدفي الذي يحيل الفكرة إلى منظومة تتحرك في نطاقها هجائية الهدف والمُستهدَف فإننا سنخضع لجدلية (البنائية والمنهجة) كإطار لصيغة العمل الجمعي؛ حتى لا يتحرك بعشوائية، وينأى عن الارتجال، وعلى طول التاريخ نجد تنظيمات بدأت بذرتها، حتى قوي عودها، ولاتزال شاخصة حتى الآن، وأخرى وهي السواد الأعظم انهارت، وبقيت أثراً من بعد عين.. معادلات البنائية والمنهجة، والعلاقة العضوية، أو ما يمكن تسميته بالمطابقة بين الفكرة والهدف لا يمكن أن تحصل ما لم تتوافر هجائية تتحرك وفق حروفها، نعم تكلف جهداً، لكنها من الناحية المعاكسة تمنع الانحلال.. تلك الهجائية هي التنظيم.

كثرما شدّد النص المعصوم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه - على إيلاء التنظيم أهمية قصوى حتى تكاد تجعله بمثابة الرأس من الجسد؛ فمما ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): **(أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومَن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم).**

فقد جاءت وصيته في النظم بعد وصيته بالتقوى؛ لتأخذ مكان الصدارة، بما لا يقبل التفاوض مهما كانت المحدّدات والأبعاد والمكوّنات.. بل إن مفردة التنظيم لم تكُ وليدة الساعة أو الحاجة فقد امتزجت هذه الفكرة بكلمات أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وبعقله، وله فيها من عيون الحِكم والإرشاد مكان مكين: فهو يوصي بالتزامه في كل شيء، ويقول: **(ومكان القيِّم بالأمر مكان النظام من الخَرَز - يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام، وتفرَّق الخَرَزُ وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً).**

ولم تكن مفردة التنظيم لتعني أنها مجرّد آليات وخطط وبرمجة في وجهها المادي المنظور؛ لإنشاء التنظيمات في صيغ العمل الجماعي فحسب؛ فيكون العاملون آلة تنفـّذ دونما وعي أو معرفة، إنما هناك شرط موضوعي شاخص الضرورة ألا وهو النمو الأخلاقي في التنظيمات؛ حتى لا يقترن بالأخطاء حين يُراد إنزال النظرية إلى حيّز التطبيق.. إذن التنظيم آليات وأخلاق تحمي الفكرة من التمزّق، وتحدّ من طغيان الفردية، وتحافظ على ديمومة وتقوية العلاقات التي تجمع بين الأعضاء.

اليوم في العراق تتزاحم صِيغ العمل الجماعي بصور تنظيمية شتى، يبرز في مقدمتها العمل الحزبي، وذلك ضروري في ضبط حركة الجماعات الساعية للاهتمام بالشأن العام للناس والبلد.. إن العمل ضمن الإطار الحزبي يكون إيجابياً إذا كان نظيفاً في سلوكه وأهدافه من ناحية النظرية والتطبيق، وكان قناة للعمل البنّاء للوصول إلى الأهداف في وجهها الوطني المفروض كحقيقة وواقع.

بسم الله الرحمن الرحيم

((يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون))

((ومن أحسن قولاً مما دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين))

وفي صفة القرآن:

((ألا إنّ فيه علم ما يأتي، وعلم ما مضى، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم))

ومن وصية لأمير المؤمنين (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام):

(أوصيكم وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم)

يحسن بنا، ونحن في مستهل الحديث أن نحدد مقصودنا من التنظيم بأنه التنظيم الحزبي الإسلامي؛ ولذلك فإن جوابنا عن سؤال: لماذا التنظيم؟.... يصلح أن يكون هو نفسه جواباً عن سؤال: لماذا الحزب الإسلامي؟.

يواجه الدعاة بين فترة وأخرى كثيراً من التساؤلات، وأحد أبرز هذه التساؤلات هو لماذا التنظيم... وبحكم كونهم ينخرطون في صفوف التنظيم الحركي يجدون أنفسهم أكثر من غيرهم مسؤولين عن الإجابة عليه، وفي مقام التصدي لهذا السؤال لابد أن نمارس عملية الإجابة في إطار الإيمان، والتسليم بضرورة العمل؛ لأننا نفترض أن الذي يطرح مثل هذا الاستفهام لابد أن يكون قد فرغ من مسألة العمل في سبيل الله، باعتبار التنظيم موضوع البحث، هو في مجال العمل الإسلامي ليس إلا.

((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))

من مواعظ النبي (ص) لقيس بن عاصم:

(إنه لابد لك يا قيس من قرين يُدفَن معك وهو حي، وتـُدفَن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يُحشَر إلا معك، ولا تـُبعَث إلا معه، ولا تـُسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك).

ونحن نشرع في الجواب عن السؤال الأهم: لماذا التنظيم؟.. نجد أنفسنا أمام مجموعة تساؤلات تتحرك بذلك الاتجاه:

1. كيف نفهم التنظيم، هل هو بدعة على الإسلام، أم فيه أصالة مبدئية مستوحاة منه؟.
2. هل التنظيم مجرّد نسق تشكيلي، أم تراكم كمّي للأفراد، أم هو بناء حيوي مهمته التربية؟.
3. هل التنظيم هدف، أم وسيلة؟.
4. هل حركة التنظيم منفصلة عن حركة الأمة، أم هي حركة مترابطة؟.
5. هل فقد التنظيم أهميته في المرحلة الراهنة، أم لاتزال تفرضه طبيعة الظروف؟.
6. هل التنظيم الإسلامي هو نفس التنظيم اللاإسلامي، أم له خصوصياته المتميزة؟.
7. هل هناك تنافٍ بين التنظيم ومجتمعنا، أم إن هناك انسجاماً وتكاملاً بينهما؟.
8. هل التنظيم يعني إلغاء قدرات الأفراد، أم هو تصعيد لقدراتهم في العمل؟.
9. هل عجز التنظيم عن ممارسة التربية الإسلامية، أم إنه قدّم دليلاً على النجاح في هذا المجال؟.
10. ما علاقة التنظيم بالمرجعية الدينية؟.
11. ما دور التنظيم في العمل السياسي؟.

1- <u>كيف نفهم التنظيم</u>

يستدعينا الجواب أن نتعرّف إلى أبرز عناصر التنظيم، ثم نتحرّى هذه العناصر في مصادرنا الشرعية، ومن أوضح سمات التنظيم أيّاً كان هذا التنظيم هي:

أ. التثقيف والتربية المركزية.

ب. التشكيل الهرمي.

ت. التخصّص الحقلي.

ث. السِرّية في العمل.

ج. التخطيط.

ح. الموقف الموحَّد.

خ. إلزام الأفراد.

هذه العناصر السبعة هي القاسم المشترك بين التنظيمات عموماً مع اختلاف زاوية النظر في كل عنصر من تنظيم لآخر، وعلى نحو الإجمال تبقى هناك عناصر أخرى يتميز بها التنظيم الإسلامي دون غيره، نستعرضها في مقام الجواب عن السؤال السادس: (الخصوصيات التي تميّز التنظيم الإسلامي).

أ- التثقيف والتربية المركزية

انتهجت الدعوة الإسلامية خطاً فكرياً لها منذ تأسيسها؛ لتمارس على ضوئه عملية التغيير في الأمة، ولتكفل الانتقال بها من المستوى الذي هي عليه من الابتعاد عن واقع الإسلام إلى المستوى الذي يريده الإسلام، وثقافة الحزب تتكون من ثلاثة أقسام:

- الخطوط الأساسية للعقيدة الإسلامية، وما يتفرّغ عنها من مفاهيم وأفكار، وما قرّر الإسلام من قيم أخلاقية.
- الأحكام الشرعية التي يقوم عليها بناء الكيان الإسلامي.
- القضايا التنظيمية التي لها علاقة ببناء الدعوة كمّاً وكيفاً، ويرجع فيها إلى ذوي الخبرة والاختصاص من الدعاة والاستفادة من تجارب الآخرين على ضوء التشريع الإسلامي.

نحن نمارس عملية التثقيف من الزاوية التربوية التي تعمل على تثبيت الداعية على الصواب، وإزالة الخطأ من سلوكه، والداعية حين يرتبط بخط الدعوة يتدرج على ضوئه في مسيرته التكاملية ومعونة المسؤول، ومن خلال الحلقة باعتبارها وحدة بناء التنظيم التي من خلالها يلتقي الداعية بالحركة، فالحركة تواصل تربيتها بالتوجيه والتكليف، والمتابعة، ورصد الأخطاء، والمحاسبة على التكرار ومن خلال التقويم الجدي، وبصورة مستمرة وشاملة، والداعية من جانبه يراجع الدعوة فيما يعرضه من إشكالات، وفيما ينقدح في ذهنه من تساؤلات، والدعوة تراجع مواقفها أحياناً على ضوء ملاحظات دعاتها الميامين حيث يتمتع الداعية بفضل فهمه، واستيعابه لخط الدعوة بذهنية واعية في فهم نظرية العمل، ويستوحي بحركته في الواقع قدرة على إثراء النظرية وتطويرها؛ لمواكبة ذلك الواقع.

الحلقات باعتبارها جلسات عبادة بما اقترنت بنيّة القربة إلى الله على مستوى القصد، وبما أفعمت أجواؤها بتداول أمور الأمة، وحمل همومها على مستوى الاهتمام، هذه

الحلقات ترصد الواقع، وتحدّد المفردات المتحركة فيه، سواء أكانت تصب في صالح الإسلام، أم في صالح أعدائه، أم في الصالح المشترك بين الإسلام والآخر الفكري والعَقَدي والسياسي، الآخر المحلي أي الوطني، أو الدولي؛ لتحدّد على ضوء ذلك دور الداعية في ممارسة عملية الهدم والبناء التغييريتين.

الداعية ينطلق لممارسة ذلك الدور، وبالاتجاه الإسلامي المرسوم بعقل متنوّر بالفكر، وبقلب عامر بالإيمان، سالكاً سبيله بوضوح، وهو وفي مثل هذه الحالة أقدر على حمل همّ الأمة، وأجدر على مواصلة الدرب لبلوغ الهدف، والداعية في جو الحلقة يمنح الدعوة حقاً في ممارسة النقد والتربية من خلال ثقته بها، والدعوة تهبه ثقة متبادلة في احترام رأيه، فهو يستجيب للتكاليف التي تطلبها منه، وهي تفتح صدرها لما يطرح عليها من استفسارات، فالداعية الواعي ينظر إلى المسؤول من خلال خط الدعوة، بل ينظر إلى مسيرة الدعوة ككل من خلال الخط نفسه، وبذلك يتمتع بقدرة عالية على التقييم يستطيع معها أن يساهم في دفع مسيرة العمل، فقد يلفت نظر الدعوة إلى خطأ المسؤول أحياناً، وإلى خطئها أحياناً أخرى، أما أن يفهم الدعوة من خلال مسؤوله، أو يفهم الخط من خلال داعية ما، أيّاً كانت قدرته، فإن ذلك يجعله تابعاً أعمى للمسؤول، وليس رقماً دعوياً يتحرك إلى جانبه بالكيفية الدعوية المطلوبة.

نحن لا نريد من الداعية أن يكون تابعاً معصوب العين في المسير؛ لأن ذلك يُفقده القدرة الذاتية على الحركة، ويقتل فيه روح الإبداع في العمل، إنما نريد منه أن يكون جزءاً حيوياً من الدعوة، بما يتحلى به من وعي وجدارة.. إن حركة الداعية مع مسؤوله بوعي وجدارة لا تنافي ما ينبغي أن يتمتع به من ثقة عالية بمسؤوله، مستوحاة من ثقته بالدعوة، الثقة بين الدعاة أساس في التنظيم، وهي لم تكن فقط غير متعارضة مع النقد والتقويم الذي يمارسه كل من الداعية ومسؤوله، بل لابد أن تكون هذه الثقة إطاراً صالحاً لممارسة النقد؛ لأن النقد هو الآخر أساس في الدعوة.

كما إن الداعية يتربّى على أنه داعية إلى الله أولاً وقبل كل شيء آخر، ومن ثم يعمل في ميدان تخصّصي معيّن، أو ينتسب إلى عائلة ما بحدود ما أباح الشرع المقدس، فهي (:أي الدعوة)، لا تريد منه أن يعيش أجواء الدعوة بذهنية عشائرية، أو من منظور تخصّصي، أو نزعة عرقية، أو عقدة طبقية؛ لتنعكس على سلوكه، إنما تريد منه أن يتذكر أنه داعية يجاهد في الله في أجواء عائلته، وفي دائرة اختصاصه، وفي وسط العمل مع أقرانه، فهو إذن يفهم أن مجال الاختصاص فرصته لحمل لواء الإسلام، وممارسة عملية التغيير، وأن يدخل هذا الميدان أو ذاك مع موقع كونه مجاهداً، كما إنه

لا يجد ما يبرّر أن يتردّد في التخلي عن التحرك في أي ميدان حقلي تخصّصي؛ لينتقل إلى ميدان آخر أكثر خدمة لأهدافه، ومن هنا كانت حركة الداعية في سبيل الله:

((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)).

لذلك كان انتشار الدعاة الميامين إلى ميادين العلم المختلفة، وفي مناطق متعددة ظاهرة صحية وطبيعية في الدعوة، والداعية الممتاز الذي اندكّت شخصيته في بوتقة العمل ينطلق إلى الآمة، وبمختلف شرائحها، ليعمّق فيها أحكام الإسلام، ويشدّها إلى أهدافه، كما إنه وبفضل سلامة تربيته لا يسوّغ لنفسه الانقطاع عن المؤمنين من أبناء الأمة، فضلاً عن المجاهدين فيها، حتى إذا كانوا من تنظيم آخر، أو من فصيلة إسلامية غير منظمة.

وحيثما توضّح له الخط يتعشّق مفاهيمه، ويأخذها من المصدر الإسلامي الكفء والثقة، مهما كان موقفه من التنظيم، وهذا هو السرّ الذي يجعل الداعية أكثر انفتاحاً، لا في مجال العطاء الفكري للآخرين فحسب، بل في مجال الأخذ كذلك، ليس لديه عقدة في نفسه، ولا هو مكابر على من يثبت أنه كفء في إعطاء مفاهيم الرسالة؛ من هنا حفلت أوساط الفكر الإسلامي بظاهرة تعاطي الأفكار، وتبادل الخبرات بين الدعاة وغيرهم من المؤمنين، الداعية يعرف كيف يقدّر بحكمة من أيّ المصادر يستقي المعرفة، ومن أيّ الخبرات يتعلم.

هكذا يمضي الداعية في مسيرة الدعوة، روحاً وفكراً وسلوكاً، يضطرد في اقترابه إلى الله (سبحانه وتعالى)، مع مرّ الزمن، ويتعمّق فكره بأحكام الرسالة ومفاهيمها، ويتمتن سلوكه من خلال الالتزام.

الدعوة تشعر أن مهمتها كبيرة وخطرة في التربية، كبيرة؛ لأنها تريد بناء الداعية بناءً إسلامياً شاملاً على مستوى الروح والفكر والسلوك، وخطرة؛ لأنها تريد أن تتولى الداعية ثقتها في حمل الرسالة إلى الأمة؛ ليكون موضع اعتمادها، ومن خلال جملة الدعاة تحظى الدعوة بثقة الأمة، خطوة على طريق أداء مهمة التغيير، وأن الأمة ما لم تمنح الثقة إلى أي طرف لا تسمح لنفسها أن تتغير على هديه، ثم إن الدعوة لا تريد إنشاء جوقة موالين لا يملكون أكثر من العواطف، ولا ينساقون إلا وراء الإشارة، ولا يتحركون إلا بشكل آلي يفتقدون إلى القدرة الذاتية على الحركة، وتنتابهم حالة الهوس في مجال التنفيذ، وليس لهم شأن على مستوى التخطيط، إنما تريد من الداعية أن يكون حامل رسالة يتحرك في أطرها، ويقف عند حدودها، لا تحرّكه ردود الفعل، ولا يغلب

عليه الانفعال يتميز بالمرونة وبالحزم في كل موضع يتطلب ذلك، يعرف متى يبادر، ومتى يستجيب، وأين يبت تلقائياً، وأين يراجع الدعوة.

إن ظاهرة الاضطراب في مسيرة الأفراد، وتقلّبهم من خط لآخر تعكس سطحية الشخصية غالباً، وعدم تغلغل المفاهيم إلى العمق، كما إن ظاهرة التضارب العاطفي التي تنشأ أحياناً بين الإسلاميين، والتي تؤدي بالبعض إلى الخروج عن الحدود الشرعية هي الأخرى تدل على ضعف الجانب الروحي؛ لأننا نفهم تعدد فصائل العاملين على أنها نتيجة لتفاوت القناعات من أجل خدمة الإسلام، والذي يؤدي إلى تعدد أساليب العمل، لكننا لا نتعقل أن يصل التفاوت في المشاعر إلى الدرجة التي تسقط المبادئ ضحية ذلك الاختلاف، وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار طبيعة الظرف الحرج الذي نمر فيه تبرز أمامنا حقيقة أهمية بناء الشخصية التي تستطيع أن تقف بثبات أمام تيار المحنة مهما كان عاصفاً:

((رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)).

عليه فإن التنظيم كما نفهمه، مستمَد من تعاليم الإسلام، ومما جسّدته السيرة المطهَّرة، فمن خلاله يتعبّأ الداعية بعقيدة الإسلام وبفكره، ويطوّر نظريته بالعمل على ضوء تجربة إخوانه وعلى هدى الإسلام، ومن خلال التنظيم يواكب الداعية حركة الدعوة في بناء المجتمع إسلامياً، ويواصل دوره، ويدفع به في ممارسة عملية التغيير.

إن الداعية حين يلتقي الدعوة يبرم علاقته على أساس الاستفادة من قدراتها، والاستعانة بها على مشاكل الأمة، والمثابرة على إزالة العقبات عن طريق حركتها باتجاه الهدف، وبذلك تتوخى الدعوة أن يكون لقاؤه معها دافعاً لمزيد من العمل، ومزيد من المبادرات، يحمل نظريتها في وسط المجتمع، يواجه الناس ليعيش مشاكلهم، يخوض غمار معركة التغيير، ثم يعود إلى الدعوة، ليضع حصيلته في العمل، يعرف ماذا ينقل، بمقدار ما يتجنب الثرثرة في الأوساط، ويتجنب الحركة العفوية بين الناس، يوجز ما قام به من أعمال بتواضع؛ لأنه واثق من أن عمله ابتغاء مرضاة الله (سبحانه وتعالى).

كما إن الدعوة تعمل على أن لا يتحول الداعية إلى عبء يحمله التنظيم؛ لأن هذه الظاهرة - والعياذ بالله - ظاهرة مَرَضية مُنيَت بها بعض الحركات والتجمعات الإسلامية إذ يحس الفرد فيها بالاتكال على الحركة؛ فيكون انتسابه لذلك التنظيم أو التجمّع عامل انخفاض في منسوب حركته في الوسط، ويحسّ التنظيم إزاءه بحالة من التعب قد تبلغ درجة الإعياء، حين تستحكم هذه الظاهرة في ذلك التنظيم.

ب - التشكيل الهرمي

هو ثاني عناصر التنظيم، الحزب الإسلامي أداة من أدوات تغيير المجتمع، والإسلام هو هدفه، وعملية التغيير هذه تصطدم مع مصالح السلطة إذا ما كانت سلطة مستبدة أو معادية للإسلام، كما إنها تصطدم مع مصالح بعض الشرائح المعادية لعملية التغيير الإسلامي، أضف إلى ذلك أن أبناء المجتمع الإسلامي ليسوا كلهم بدرجة واحدة من الوعي والالتزام، فبعضهم يعمل من أجل الإسلام ويربط مصيره به، وبعضهم يؤدي العبادات دون العمل من أجل إقامة الإسلام، أو إنه يعمل، ولكن دون مستوى التضحية، والبعض الآخر مجرد متعاطف مع الإسلام، وهكذا تتفاوت مواقف الفصائل الاجتماعية تبعاً لتفاوت اتجاهاتها الفكرية، ومستوى وعيها، ودرجة التزامها.

الحركة الإسلامية تتحرّك في مثل هذه الأوساط، وهذا ما يفرض عليها أن تحسب حساب الخصوم، وما يبذلونه من جهد في سبيل القضاء عليها، وهذا يتطلب أن يكون جهاز العمل هرمي الشكل؛ ليحفظها من الهدم، ويوفر لها فرصة لبناء الجهاز، بناءً تغييرياً متزامناً مع بناء المجتمع، كما إن التفاوت الطبيعي بين الأفراد ودرجة وعيهم يفرز ومن داخل التنظيم ظاهرة الاختلاف في مستوى تحركهم داخل الحزب وخارجه، وحيثما كانت تشتد الظروف على الكيان الإسلامي، كانت تتجلى صورة الهيكل الهرمي بشكل واضح، ففي الغيبة الصغرى للإمام المهدي - عليه السلام - كان اتصاله بالأمة من خلال السفراء الخاصين، وحتى وكلاؤه كانوا يتصلون بالواسطة مع أبناء الأمة، إلا أن المفهوم من مجموع النقل التاريخي في روايتنا: أن القواعد الشعبية الموالية في بغداد خاصة وفي العراق عامة كانت تعرف - على العموم - فكرة السفارة، وكيفية الاتصال بالسفير ولو بوسائط، وأن عدداً مهماً من خاصتهم وعلمائهم ومبرّزيهم كانوا على اتصال مباشر بهم وعلى علم بطبيعة مسؤوليتهم، وقد يقوم جملة منهم بالوساطة بين السفير والمجتمع؛ لإبلاغ توقيعات الإمام المهدي (عج)، وتوجيهاته إلى الناس.

قال الشيخ الطوسي: " وقد كان في زمان السفراء الممدوحين أقدم ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل"، وقد يرتبط الفرد العادي من القواعد الشعبية الموالية بواحد من هؤلاء الخاصة، لقضاء مقصوده عن طريق السفير، من دون معرفته بشخص السفير، ولا مكانه ولا عمله الاجتماعي الظاهر، ولا يكون هذا الواسطة على استعداد للتصريح بذلك، باعتبار كون الفرد العادي غير قادر على الكتمان، وليس على مستوى المسؤولية والإخلاص.

كما إن ظاهرة الشكل الهرمي في العمل أضحت انعكاساً طبيعياً لمستوى العاملين في ذلك الجهاز وبمستوى التكاليف المتفاوتة التي تـُعهَد إليهم، حتى عادت هذه الظاهرة لاتنفك عن أي جهاز من الأجهزة العاملة، وفي الاختصاصات المختلفة، فتفاوت الأفراد في استيعابهم العقيدة والفكر، وانعكاس ذلك على السلوك أمر طبيعي، وحتى إن الصحابة (رضوان الله عليهم) كانوا متفاوتين فيما بينهم، وقد وصلت مراتب مستوياتهم كما تحدثنا الرواية إلى عشرة، على الرغم من أنهم كانوا يتحركون مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بفرص متكافئة، فتكافؤ الفرص مطلوب أن يتوافر في الكيان لكل العاملين فيه، ولكن تفاوت التلقـّي، وتفاوت الالتزام حقيقة لا يمكن تجاهلها، وهذا يترتب عليه تفاوت في بناء الأفراد المرتبطين بهذا الكيان أو ذلك.

جـ - التخصّص بالأعمال

عندما تعمل حركة ما كالدعوة الإسلامية على تحقيق أهداف الإسلام، وعندما يكون عملها في وسط شائك كالذي عملت فيه، وعندما تتوافر فيها طاقات جيدة لخدمة هذه الأهداف يصبح من الطبيعي أن تعمد إلى انتهاج العمل الحقلي التخصصي، فالعمل الإعلامي والسياسي والجهادي، وكذلك العمل في حقل العلاقات والفكر، كل واحد من هذه الأعمال هو فن من الفنون يعتمد على أصحاب الكفاءات ممن له مرتكز نظري جيد وتجربة عملية في آن واحد؛ لذلك كان على الدعوة أن توكل مهمة كل حقل للجنة مختصة تقع على عاتقها تغطية مهمات ذلك الحقل، وتفجير الطاقات الكامنة عند الدعاة وتصعيدها؛ لتشكل منهم رافداً مستمراً وذخيرة متواصلة ينمّون فيها العمل على مر الزمن وعلى مدى اتساعه.

إن التفرُّغ النسبي لمجموعة الدعاة في حقل ما يساهم في إثراء ذلك الحقل، كما إنه يلعب دوراً مهماً في تطوير إمكانات القائمين عليه، وهذا سيؤدي مع مرور الوقت إلى تراكم خبرة علمية جيدة عند كل مختص في حقل اختصاصه، وينبغي ألا يُفهَم من التخصّص تخصّصاً أكاديمياً، فالتنظيم ليس معهداً فنياً وهو ثاني عناصر التنظيم، كما إنه ليس مدرسة فكرية، إنما هو أداة حضارية تستقي صفتها الحضارية من مبادئ الإسلام، على مستوى المنطلق كنقطة ارتكاز، وعلى مستوى الهدف، وعلى مستوى المعيار المتحكم؛ لذلك نعتقد أن المختص بالإعلام أو العلاقات لا يستطيع بالضرورة أن يؤدي دوره في بناء جهاز الدعوة لمجرّد كونه مختصاً، إنما الذي يبلغ هذا المستوى هو

الداعية المختص في حقل الإعلام؛ لأن هذا (الداعية) يتحرك من موقع استيعابه لخط الدعوة؛ لأداء دوره الإعلامي، فهناك محور مشترك في كل حقول العمل الدعوي يعتمد على فهم خط الدعوة التغييري واستيعاب افكارها، وهناك حقل تخصّصي، فالداعية في الحقل الإعلامي مثلاً لا يستطيع أن يدفع بمسيرة الدعوة إعلامياً بمجرد كونه مختصاً بالإعلام، إنما لابد أن يتحرك من موقع فهمه لخط الدعوة ابتداءً، وكذا في الحقول الدعوية الأخرى.

إذ إن الدعوة ليست جمعية إعلامية، إنما هي حركة إسلامية ذات نشاط إعلامي تمارسه من جهاز متخصّص في هذا المجال، وقُلْ مثل ذلك في حقل السياسة، والعمل الجهادي، والعلاقات، وفي مجال الفكر، وبذلك نفرّق بين حركة الإعلام وإعلام الحركة، هذا الفهم مستوحى من إيماننا بأن الإعلام وباقي الحقول ليست أهدافاً، كما إن التنظيم نفسه هو الآخر ليس هدفاً، إنما الهدف هو الإسلام، وإن خط الحركة هو الدليل على توظيف أجهزة الحزب لخدمة هذا الهدف.

د - <u>السرية</u>

الدعوة الإسلامية على يد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مرّت بمرحلة سرية؛ حفاظاً على مستقبل الرسالة، واستمهالاً لتشكيل نواة من المؤمنين يحملونها، ويذودون عنها، ويدعون إليها، "وتكتم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في السنوات الثلاث الأولى لم يكن سببه الخوف على نفسه، وإنما أراد الحفاظ على مستقبل الدعوة؛ حتى لا تتعرّض إلى عمل مسلح يقضي عليها في مهدها، حيث لابد من إيجاد ثلة من المؤمنين ومن الفصائل المختلفة، يحملون هذه العقيدة ويدافعون عنها، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعة والحاسمة من قبل أعدائهم الأشرار".

أهمية السرية في العمل، وقدرة العامل على الكتمان كان عاملاً أساسياً في اختيار الإمام الحجة (عليه السلام)، لشخص الحسين بن روح وكيلاً خاصاً له، قال ابن روح: "وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم بن روح دونك، فقال: هم أعلم واختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم، وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة، لعلي كنت أدلي على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرِّض بالمقاريض لما كشف الذيل عنه".

حتى إن الإمام الحجة (عج) يأمر سفيره محمد بن عثمان العمري بأخبار أولئك الذين اشتد بهم الفضول سائلين عن اسمه بأن السكوت يضمن آخرتهم، وأن الكلام يؤدي بهم إلى النار، وموضحاً علة ذلك: وخرج التوقيع من المهدي (عج) إلى محمد بن عثمان العمري السفير الثاني (رضي الله عنه) ابتداءً من غير مسألة؛ ليخبر الذين يتساءلون عن الاسم: إما السكوت والجنة، وإما الكلام والنار، فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلوا عليه.

لقد كانت الدعوة إلى العلويين في عصر زيد بن علي تنمو، وتزداد في جو من التكتم والسرية بعد فشل الانتفاضات التي ظهرت في عهد عبد الملك بن مروان وخليفته يزيد بن عبد الملك، واتسعت في عصر هشام بن عبد الملك، وكانت الكوفة المقر الرئيس من بين مدن العراق للدعوة، ومنها انتقلت إلى خراسان، وذهب إليها الدعاة متسترين بالتجارة، حتى لا ينكشف حالهم لأنصار الأمويين في تلك البلاد وقد جاء في الكامل لابن الأثير: أن مسيرة داعي الهاشميين وجّه في سنة 102 هجرية رسله إلى خراسان للدعوة إلى العلويين، فترامت أخبارهم إلى الوالي، فقبض عليهم، فأنكروا التهم الموجَّهة إليهم، وادّعوا بأنهم دخلوا البلاد للتجارة، ولا شأن لهم بالسياسة، ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن تعهّد له جماعة من ربيعة بكل ما يصدر منهم.

هذا الاستعراض يؤكد لنا أن السرية والكتمان لازمت العمل في ظروفه الصعبة، وحتى مع افتراض دخول الأمة في بلد من بلاد المسلمين مرحلة انتصار الإسلام في الواقع السياسي بقيام حكومة إسلامية، أو بقيام نظام برلماني تعددي يضمن حرية مزاولة العمل السياسي لكل التيارات السياسية، بحيث لا يبقى مبرّر للسرية، إلا أن الأمة ستبقى في بعض من بلدانها تمر بمحنة لا تقل حراجة عما مرت بها في التاريخ، أو ما مرت به الحركة الإسلامية العراقية في العهد الصدامي، بحيث تؤكد الحاجة إلى السرية على العمل أو العاملين، ومن هنا فالدعوة تعتمد السرية في العمل حيثما تتطلب مرحلة العمل ذلك، أما في الحالة التي تقف السرية عقبة في طريق العمل، أو تنتفي الحاجة لها، فهي لا تجد ما يبرّر الالتزام بها، ومن هنا نجد في مسيرة الدعوة أدواراً في العمل كانت ذات طابع سري حسب المرحلة، وأخرى ذات طابع علني.

إلى الآن نجد ميادين بعض البلاد الإسلامية تمر بالمرحلة نفسها؛ لأن الظروف التي تمر بها الأمة ليست متطابقة في كل حيثياتها، والنظرة الواقعية لهذه الظروف تقرّر حقيقة الاختلاف في الموقف، وحتى في الحالات الطبيعية يبقى قدر من السرية ضرورياً في كل عمل، لا يمكن طرح حيثياته على عامة الناس، أو على غير المعنيين،

فالحزب السياسي، إسلامياً كان أو علمانياً، وحتى في أكثر البلدان عراقة في التقاليد الديمقراطية هناك ما يتداول في أمره في الدوائر الخاصة، وهكذا تفعل الحكومات، والمشاريع التجارية، والمؤسسات على أختلاف أنواعها، بل نجد السرية حتى في شؤون الأسرة فيما لا ينبغي للآخرين الاطلاع عليه.

أما سرية الأفكار فلا يوجد مبرر له في الظروف الطبيعية، ومن هنا فالدعوة الإسلامية قد طرحت أفكارها ومفاهيمها على الأمة بكل شفافية منذ دخلت المرحلة السياسية.

هـ - التخطيط

أبرز سمات التنظيم هو أن نضع خطة لتحقيق الأهداف التي يُراد تحقيقها، والخطة لابد أن تُرسَم على أساس فهم الواقع، ووضوح الهدف، وتشخيص العقبات، وتحديد الخطوات العملية التي تستطيع تجاوز هذه العقبات؛ لتتخطى بالعمل إلى مستوى الهدف، وبذلك أصبح التخطيط سُنّة يتعامل بها المنظمون وغير المنظمين أحياناً.

الخطة التي تضعها الحركة مرة تكون لتحقيق أهداف قريبة، وأخرى لتحقيق هدف بعيد، ومهما كان الهدف الذي وُضِعت الخطة من أجل تحقيقه فإن عناصر الخطة التي تعتبر مقدمة ضرورية لبلوغ الهدف لابد من العمل على توفيرها قبل الشروع، والتخطيط كذلك أضحى سمة من سمات العصر، فلا يخلو مجال من المجالات إلا والتخطيط يقف في مقدمته، وكلما تعقد الوسط المراد العمل فيه، وكلما كبر الهدف المراد تحققه كانت الحاجة إلى التخطيط أكبر، وحيث إن العمل الاجتماعي التغييري من أصعب ما يواجه العاملين، فإن التخطيط بالنسبة لهم عنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه.

و- الموقف الموحَّد

يحرص التنظيم على توحيد موقف أفراده في الأمور التي تتطلب ذلك؛ لأن وحدة الموقف من أكثر المظاهر التي تعكس قوة التنظيم، كما إنها تجعله (التنظيم) في حالة من الكفاءة أقدر معها على تحقيق الهدف، ووحدة الموقف قد تعكس وحدة الرأي، وقد

لا تعكس ذلك؛ لأن الاختلاف في الرأي ظاهرة في العمل الجماعي، وهو عامل مساهم في إثراء النظرية التنظيمية، إلا أن التنظيم الكفء يحرص على وحدة الموقف، ويحرص كذلك على تقليص مساحة الاختلاف في وجهات النظر على الرغم من النظرة الإيجابية إلى ظاهرة الاختلاف باعتبارها تعكس القدرة الإبداعية لدى الدعاة، ويجعله يتحرك في إطار وحدة الموقف، وفي مجال خلاف الداعية مع التنظيم حددت الدعوة موقفاً للداعية ليعطي رأيه بكل جرأة وصراحة، وهي تتجه إلى التنظيم لينفتح على رأي الداعية، وينظر إليه بعين الاحترام، وليدرسه بشكل جدي، وحيثما تصل الدعوة إلى الرأي الصائب للداعية، تعمل على تعميمه على الدعاة، وفي حالة كونه خطأ تضع ما لديها من حجة في تخطئته، أو بيان مبرّر عدم العمل به؛ ليكون على بيّنة من ذلك.

الدعوة لا تريد أن يكون التنظيم جيشاً يصدر فيه الأمر من الأعلى ليواجهه الدعاة بالطاعة، بل الدعوة حركة حيّة واعية تستمد هاتين الصفتين من خلال حيوية، وأعمق وعياً، كانت قدرته على الإثراء أكثر، وخدمته للرسالة أكبر، وهذا هو السر الذي يجعل ظاهرة تحوّل الداعية في بعض الأحيان إلى دعوة في المنطقة التي ينقطع فيها عن التنظيم لسبب أو لآخر، أو أن يكون كذلك في مجال ما، أو موقف معيّن حيث يتطلب الأمر ذلك، وهذا هو السبب الذي يقف وراء حالة المبادرة في الأعمال، أو الرد المسؤول من قبل الدعاة الواعين على ما يدور حولهم من أحداث.

ز- <u>إلزام الأفراد</u>

إن انخراط أي فرد داخل الكيان الحزبي يترتب عليه جملة استحقاقات، منها التزامه الذاتي بمقرّرات الحزب، وعملية الالتزام الذاتي تأتي حصيلة عوامل تربوية عالية المستوى، وعميقة التأثير فيه؛ حتى تبعثه ذاتياً على الالتزام بكل مبادرة، أو تكليف على أن الحزب أي حزب يواجه أحياناً ظاهرة انخفاض مستوى الالتزام الذاتي لبعض أعضائه لسبب أو لآخر؛ مما يعرّض وحدة الحزب ووحدة موقفه إلى التصدّع، وما لم يتمتع الحزب بقدرة إلزام أعضائه بما يُتخذ من قرارات، فإن مواقفه تتعرّض للاهتزاز من داخل الحزب، وتضعف إن لم تفقد تأثيرها في الأمة، من هنا لابد من التمييز بين حق الداعية الفرد في إبداء الرأي، وبين حق الدعوة كحركة في اتخاذ القرار، فللداعية الحق بل المسؤولية في إبداء رأيه إلى أن يصل للتبنّي، أو لا مع التعليل، وفي الوقت نفسه عليه أن يتفاعل مع قرار الدعوة من مواقع المسؤولية المختلفة تتفاعل في نسقها

الصاعد، لتتحوّل إلى قرار الدعوة في نسقه النازل، فربما كان رأي الداعية في موقع ما قراراً في الدعوة في مواقع أعلى بالمسؤولية، وباختصار فإن قرار الدعوة هو المخاض النوعي لخميرة آراء الدعاة.

إلزام الدعاة بقرار الدعوة بعد تدارس حيثيات القرار أمر يتوقف عليه سلامة البناء التنظيمي ووحدة الحزب، فمن غير المعقول أن يغيب عن بال الدعاة مسؤولية الدعوة في اتخاذ القرار، أو التلكؤ في التفاعل معه، إذا كان من المعيب على الأحزاب أن تتحوّل كياناتها إلى حالة عسكرية تأمر القيادة فتطاع، فلأن ذلك مردّه عدم إعطاء حق المناقشة وإبداء الرأي للأفراد على مستوى صناعة القرار، أو على مستوى صياغة القرار بطريقة تبليغه من حيث الأداء، أما أن يقرر الحزب ليصنع الموقف إزاء أي حدث، وأن يلتزم الدعاة بذلك القرار، ويجسدوا الموقف فهو أمر تتوقف عليه مصداقية الحزب والدعاة.

قبل أن نختم جواب السؤال الأول: هل التنظيم بدعة على الإسلام؟ لابد أن نشير إلى معنى البدعة، ولو بشكل عابر، وما هو الفرق بينها وبين الحكمة؟ ثم ما هو الوارد في الرواية في استلهام الحكمة، فالبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها بصاحب الشريعة وأمثالها المتقدمة وأصوله المتقنة، وجاء في الحديث الشريف:

(وأما أصل البدعة: فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا).

فالمخالفة لأمر الله ولكتابه ولرسوله هي السمة البارزة لكل بدعة، والعمل بالهوى هو الدافع لها، وأما الحكمة: فالحكمة إصابة بالعلم والعقل، فالحكمة من الله (سبحانه وتعالى)، معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله (عز وجل):

((ولقد آتينا لقمان الحكمة)).

ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاهم بأحسن الحلية فقال:

((يؤتي الحكمة من يشاء)).

وفي الرواية عن احد المعصومين: إن الله (عز وجل) يقول:

((إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)).

يعني العقل، وقال:

((ولقد آتينا لقمان الحكمة)).

قال: الفهم والعقل، وجاء في الحديث الشريف:

(الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق).

في الوقت الذي تتجه البدعة - والعياذ بالله - إلى افتعال قول أو فعل على الشريعة انسياقاً وراء الهوى بحيث لا تمت إلى الأحكام الشرعية بصلة، تتجه الحكمة إلى إطلاق آفاق العقل؛ لينفتح على كل ما يوافق الشرع، ويخدم الرسالة، ويحقق الهدف الإسلامي، ولعل المجالات الميدانية في المجتمع تحفل ببعض المصاديق التنظيمية، والتي خدمت الأهداف الإسلامية كما هو واضح في مجال الإدارة والاقتصاد والحرب والخدمات وغير ذلك.

2- التنظيم أداة تغيير

هل التنظيم مجرّد نسق تشكيلي وتراكم كمّي للأفراد، أم هو بناء حيوي:

((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر المحسنين عملا))

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى:

((ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)).

قال: (ليس يعني أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله، والنية الصادقة)، ثم قال: (الإبقاء على العمل حين يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله -عز وجل- والنية أفضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل))، ثم تلا قوله تعالى:

((كل يعمل على شاكلته)).

يعني نيته.

تريد الدعوة من التنظيم أن يكون أداة من أدوات التغيير، ولا شك أنّ اتساع دائرة التنظيم يسهّل المهمة التنظيمية، لكن الأساس في البناء التنظيمي لدى الدعوة هو نوع

الأفراد؛ لأن الدعوة تعتقد أن الدعاة مهما بلغ عددهم من حيث الكثرة يبقون مجموعة غير متماسكة، إذا لم يتمتعوا بمستوى عالٍ من الإيمان والفكر والالتزام، فالإيمان يحدد اتجاه الدعاة إلى الله – تعالى - ، ومن خلالهم يتحدد اتجاه الركب الدعوي المبارك، وبفكرهم الرسالي يعون أحكام الشريعة، وينظرون إليها، وبالتزامهم يتوحد مسارهم في الحركة، وعليه انصبّ اهتمام الدعوة على تصعيد مستوى الدعاة بعد ارتباطهم بالتنظيم، أو على التشديد على المخاطبين بالدعوة قبل المفاتحة.

حين يرتقي الدعاة إلى مستوى ما تريده الدعوة يتحولون إلى أمة بما لها من وحدة الاتجاه، وتماسك الأفراد، ووحدة الموقف، أما في غير هذه الحالة فإنهم لا يقوون على حمل المهمة ولا الاستمرار في طريق ذات الشوكة.

إن المبدئية والالتزام يمثلان النظرية والتطبيق، وهما سر حيوية التنظيم، من هنا كانت عملية التربية مهمة الدعوة الأساسية، فهي لا تهب الداعية العمل، بل تفترض فيه أن يكون عاملاً قبل ارتباطه بها، وإن كانت تدفعه لذلك، إنما مهمتها هي أن تمارس معه عملية التربية، فتعوّده أن هذا صحيح وذلك خطأ وهذا يعني أن الدعاة ومن خلال وجودهم في التنظيم قد تبدو عليهم بعض الأخطاء والهنات؛ لأن هذا أمر متوقع على الرغم من أنه مرفوض، لذلك تعتقد الدعوة أنّ الداعية أثناء سيره التكاملي يتعرض إلى أخطاء في مستوى ما، فتواجهه هي بالنقد والتقويم ليتخلص منها، ولكن من الممكن أنه سرعان ما تبدو عليه أخطاء من نمط آخر، ولذلك حين تجري مقارنة في مسيرة داعية ما فإنها تشخّص أن الداعية في مقطع زمني لاحق أفضل منه في المقطع السابق، وهكذا تمضي الدعوة مع الداعية في عملية تصعيد مستمرة، يقول أمير المؤمنين (ع):

(من تساوى يوماه فهو مغبون).

إن عملية التثقيف هذه ليست محددة لمساحة التنظيم؛ لأن الدعوة لا تضع حداً فاصلاً في مجال العمل والتعامل بين الدعاة وغيرهم، بل تعتقد أن مساحة التنظيم خاصة بالدعاة المرتبطين بها تنظيمياً، ولكن هناك الكثير من الدعاة ممن يرتبطون مع الدعوة على مستوى خطها وفكرها، وهناك أكثر منهم ممن يتحرك مع حركتها؛ لذا من الصعب أن يضع الناظر علامة مميزة بين هذه الشرائح، وأكثر من ذلك فهناك حقيقة أخرى، هي إن الدعوة تتعامل مع شرائح الأمة الواعية على أساس الإسلام، فموقفها من المؤمنين في كثير من مجالات العمل لا تتخذه فقط على أساس موقف الفرد أو المجموعة التي

ينتمي إليها من الدعوة، وإنما ترسم خط التعامل على أساس مصلحة الإسلام، وقرب ذلك الشخص أو الكيان من الإسلام.

3- هل التنظيم هدف أم وسيلة

الدعوة الإسلامية تفرّق جيداً بين الوسيلة والهدف من جهة، كما تفرّق بين الهدف والغاية من جهة أخرى، فالعمل الإسلامي وبأي صيغة كان، وسيلة لتحقيق المجتمع الإسلامي، وتطبيق حكم الله العادل والذي يمثل الهدف، والغاية التي يتوخـّاها العمل هي رضوان الله (سبحانه وتعالى)، لكن هناك ترابطاً وثيقاً ما بين الوسيلة والهدف لا يمكن إغفاله، فالوسيلة الأقوى إسلامياً تخدم الهدف بدرجة أكبر من غيرها، والضرر الذي يصيب وسائل العمل الإسلامي لا يمكن أخذه مفصولاً عن الهدف.

كانت الدعوة تعمّق وعلى طول الخط الأساس للداعية، بأن الدعوة وسيلة وليست هدفاً؛ لكي ينمو الإسلام في وجدانه على مر الزمن باعتباره الغاية، كما تعمّق نظريتها في العمل في نفوس الدعاة كوسيلة يتقرب بها إلى الله (سبحانه وتعالى)، وهكذا فإن هذا الشعور ينمو لدى الداعية مع مضي الوقت، وفي مختلف مجالات العمل المختلفة، ومن خلال مروره بسلسلة الابتلاءات، وكلما ثبت لدى الداعية أن نظرية الدعوة تعمّق فيه الغاية والهدف، وتثبت له أن طريقتها جديرة بممارسة عملية التغيير الاجتماعي، وتأخذ به على مدارج النمو الإيماني زاد إيمانه بها وتضحيته على طريقتها.

هذه النظرة هي التي تكسب الداعية قدرة على الاندكاك في المبادئ، واستعداداً للتضحية من أجلها، وهي التي تجنبه حالة النظر إلى المبادئ من خلال الأسلوب، سواء كان هذا الأسلوب في صيغة التنظيم أم الشخصية، هذه الحالة التي مُني بها بعض العاملين حيث انمسخت عواطفهم بالأسلوب إلى حد أنهم يلهثون وراءه، حتى إذا كان على حساب المبدأ.

على ضوء ما تقدّم كان من الطبيعي أن نستغرب ظاهرتين: ظاهرة الانجرار وراء الوسيلة على حساب الهدف، وحيث نلحظ سقوط المبادئ وتجاوز الأحكام ضحية للانتصار لهذه الوسيلة في العمل أو تلك، وظاهرة السكوت عن الانتصار لوسيلة ما في العمل الإسلامي يثبت الواقع جدارتها عندما تتعرض للإساءة.. إن الإضرار بأي وسيلة إسلامية كانت هو إضراراً بالهدف، وإن إيماننا بأسلوب إسلامي ما، لا يبرّر محاربتنا،

بل عدم تعاطفنا وتعاوننا مع العاملين في أسلوب إسلامي آخر، إن الأساليب الإسلامية تتعدد، ولتعددها أسباب لا مجال هنا لذكرها، لكنها مُقرَة شرعاً:

((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)).

فصفة السبيل كما يصفها القرآن الكريم جاءت بلغة الجمع وليس المفرد، إن الدعوة حين تصر، وتلتزم، وتثبت على قناعتها بآلية التنظيم من أجل خدمة الهدف، فإن ذلك يؤدي بها لأن تبقى بؤرة إشعاع إسلامي، ويكون كيانها إطاراً لبث المفاهيم، ويتحرك دعاتها في ذلك الإطار كمغيّرين يردّدون صوت الإسلام، ويجسّدون في سلوكهم أحكامه ومفاهيمه، وهذه العملية وإن كانت شاقة وبطيئة، لكنها هوية (التنظيم – الواسطة)، وليست هوية (التنظيم – الهدف)؛ لأن الوعاء التنظيمي حين يكون مجرّد جوقة أفراد يجمعهم محور عاطفي معيّن يبقى كل واحد منهم صدى لصوت واقعه يتحول ذلك التشكيل إلى ركب صاخب لا يتوافر على منطق محدّد كنقطة بداية، ولا يتحكم فيه معيار إسلامي معيّن لضبط مساره.

الحركة الإسلامية تريد أن تأخذ من الإسلام المبادئ؛ لتعطيها إلى الأمة من خلال إيمانها والتزامها بها، لا أن تبني لها هيكلاً جامداً يعكس تناقضات المجتمع بكل عاداته ونوازعه. إن الحركة على محور (التنظيم – الوسيلة التغييرية) ستؤدي دورها في بناء المجتمع الإسلامي، وتركز أصالتها على مَرّ الزمن مع ما تتطلبه هذه العملية من جهد، وما تستغرقه من وقت، أما الحركة على محور (التنظيم – الهدف)، فقد تتحقق أهدافاً معيّنة على مدى زمني محدد سرعان ما يتلاشى في وقت لاحق، ولعل النظرة الواعية إلى تاريخ العمل تكشف عن تينك الظاهرتين.

حين يتحرك العاملون إلى الإسلام من منطلق أهدافهم الإسلامية، وحين يصوغون مشاعرهم، ويتحملون مسؤوليتهم على هدى الإسلام كهدف تتقارب مساراتهم في العمل، ويتوحد اتجاههم على الرغم من تعدّد فصائلهم، وحين يكون رائدهم الانتصار للإسلام كهدف يتحركون من مختلف المساحات التنظيمية الإسلامية؛ لتحقيق ذلك الانتصار، ويشعر كل منهم بلذة القرب ممن يعمل على انتصار الإسلام، حتى إذا كان من كيان تنظيمي آخر، ومع تعرّض أي فصيل من فصائل العمل الإسلامي للضرر لن يتوانى العاملون جميعاً للدفاع عنه، إيماناً منهم أن هذا الضرر يلحق بالإسلام ذاته.

في مثل هذا الجو يتبادل العاملون الثقة فيما بينهم، وفي مثله يدعم بعضهم بعضاً، ويدافع بعضهم عن البعض الآخر، لا ينشغل فصيل إسلامي بآخر، بل يستعين به على تحقيق الأهداف السامية، وبذلك تستعيد ظاهرة التنظيمات صحتها في رحاب العمل.

4- هل حركة التنظيم منفصلة عن حركة الأمة، أم هي مترابطة معها

ليس الحد بين التنظيم وعدمه هو الحد بين المؤمنين وغيرهم، كما إنه ليس حداً بين العاملين وغيرهم، وحركة الشارع الإسلامي في الأمة تعتمد على أبنائها المؤمنين عامة، والعاملين المجاهدين خاصة، وإذا كان التنظيم الإسلامي ومن خلال ما توافرت فيه من عناصر القوة قد هيّأ مجالاً لتربية المؤمنين، ودفعهم إلى مسيرة العمل والجهاد في سبيل الله، فقد كان من الطبيعي أن تفرز مجموعة كبيرة من العاملين للإسلام، وهم ليسوا حكراً على التنظيم، ثم إن التنظيم الإسلامي باعتباره وسيلة - كما مر من حديث- وباعتباره يهدف إلى بناء المجتمع إسلامياً لا يريد، ولا يسمح بأن يتميز أفراده عن باقي أبناء الأمة، إلا في مجال التضحية والإيثار، وحمل هموم الأمة، وممارسة التغيير الإسلامي في أوساطها، وهو يلتقي كل من يتحلى بهذه المواصفات، حتى إذا كان ذلك المؤمن ليس منظماً أو منخرطاً في تنظيم آخر، بل يلتقي مع الآخرين من المخلصين للقضايا الوطنية على أساس الجامع الوطني الذي يمثل السعي من أجل عراق حر مستقل دستوري تعددي ديمقراطي فيدرالي موحّد؛ لذا كان ذراع عتلة التغيير من العاملين المغيّرين أيّاً كانت هويتهم التنظيمية.

إن حسابات الداعية في النجاح هي مقدار ما أحدثه من تغيير في واقع المجتمع، ومعياره هو رصيد التوجه إلى الله -عز وجل-، فالأمة ومن منظور الدعوة لابد أن تسير مساراً مزدوجاً.. أن تسير من جهة باتجاه تحقيق الطموح الوطني على أساس الجوامع والمشتركات لكل أطياف المجتمع على أساس واقع التنوع السياسي والفكري والقومي والديني والمذهبي، ومن جهة ثانية أن تسير الأمة بما تمثله من مجتمع ذي غالبية مسلمة في مسار الاندكاك أكثر فأكثر في الإسلام، وإنها في الوقت الذي تعمل فيه جاهدة على تربية الدعاة لينهضوا بهذا الدور، تحرص وبشدة على بلوغ أصل الهدف، وبذلك تكون مع أولئك الذين يعملون على تحقيق أهداف الإسلام بكل ما لديهم من طاقة، وترتبط معهم ارتباط المصير، حتى إذا كانت لهم نظرية عمل إسلامية تختلف عن نظرية الدعوة الإسلامية في العمل، كما وتلتقي بدرجة أخرى مع أولئك

الذين يعملون على تحقيق الأهداف الوطنية، حتى إذا كانت لهم نظرية عمل تختلف عن عموم النظرية الإسلامية في العمل، وذلك بمقدار التقائهم على ثوابت الجامع الوطني التي تمثل في المرحلة الراهنة مشتركات تتخذ هي الأخرى موقع الأولوية.

الدعوة الإسلامية انطلقت من أجل الأمة، وتحريرها من الدكتاتورية والتبعية من جهة، وإعادتها من جهة أخرى إلى حظيرة الإسلام بعد أن كانت بعيدة عنها، وإنما انتهجت هذه النظرية في العمل؛ لاعتقادها بأنها أسلوب جدير للوصول إلى الإسلام، وهي حين تكون في دافعها وهدفها واختيار أسلوب من أجل الأمة، فكيف تسمح لنفسها أن تكون منفصلة في الحركة عن حركة الأمة، وكذلك في تقييمها لأي فصيلة من فصائل العمل الإسلامي التغييري بأنها تترابط عضوياً مع حركة الأمة، إلا أن الحركة الإسلامية عموما تواجه بين الحين والآخر ومن هنا وهناك اتهامات شتى وبدوافع متباينة.

إن اتهام حركة إسلامية ما، أو حزب إسلامي معيّن بأنها حركة النخبة وحزب المثقفين باطل، وكأنّ هذه الحركة أو ذلك الحزب مقتصر على هذه الشريحة أو تلك، وكأن لم يكن التدرج في مستويات الكيانات الإسلامية الأخرى أمراً واقعاً، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

(رحم الله عبداً أحيا ذكرنا).

فساله احدهم: ما إحياء ذكركم؟ قال:

(التلاقي والتذاكر عند أهل الثبات).

نحن هنا نتساءل من هم أهل الثبات - أيا كان عددهم- إلم يكونوا نخبة... ثم هل كان العمل المُشار إليه من قبل الإمام (عليه السلام) مقتصراً على التلاقي والتذاكر عند أهل الثبات، أم إنه متعلق للتحرك على الآخرين... إن التذاكر عند أهل الثبات في إطار التلاقي معهم لا يعني الجمود في حدود هذه الدائرة، بل الانطلاق من خلالها إلى الأمة لتعميم دائرة الموالين.

5- هل فقد التنظيم أهميته في المرحلة الراهنة

يستمد السؤال مبرّره من حقيقتين، الحقيقة الأولى: كون التنظيم الإسلامي، أياً كان حجمه وتأثيره وتاريخه، وسيلة وليس هدفاً، والحقيقة الثانية: هي إن الصياغة التنظيمية

في العمل انبثقت، وتبلورت بلحاظ ظروف معيّنة أحاطت بالأمة جعلت هذه الوسيلة من أقوى الوسائل التي تخدم الهدف، هذا من حيث الاستمرار، وتقييم مدى الحاجة إليه، فلابد من الأخذ بعين الاعتبار جملة أمور:

- إن الوسيلة تنطلق من الشريعة، وتتحرك في إطار المصلحة الإسلامية مستهدفة الأمة بكل شرائحها، وفي مناطق وجودها كافة.

- إن الظروف التي تحيط بالأمة تختلف من هذا البلد إلى ذلك بلحاظ مجموعة العوامل التي تكوّن تلك الظروف، إلى جانب مجموعة أخرى من العوامل الكامنة في داخل الأمة، والتي تختلف هي الأخرى من منطقة لأخرى، والمرتبطة بوعي الأمة ومدى قدرتها على المواجهة.

- لأن الأعمال متغيرة على هدى الإسلام وضمن أحكامه، والأهداف ثابتة، فقد أصبح من الطبيعي بل من المفروض أن تختلف آلية المواجهة في العمل من هذا البلد إلى ذلك، يضاف إلى ذلك أن التنظيم الإسلامي الذي يتمتع بنظرية عمل تؤهله الاضطلاع بواجبه تجاه الإسلام في كل مرحلة من مراحل وجوده، يصبح والحالة هذه إدارة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها في خدمة الأهداف الإسلامية.

إذن هناك لحاظان، لابد من النظر من خلالهما إلعمل المنظم، لحاظ تفاوت الظروف التي تحيط بالأمة، ولحاظ تطوير النظرية التنظيمية لإسداء كل ما من شأنه أن يخدم الإسلام.

إن النظرة الموضوعية لواقع البلاد الإسلامية عامة، والبلدان التي ترزح تحت نير الاستبداد والمواجهة خاصة تكشف ما أفرزته تلك الأوضاع من كبت للحريات إلى ملاحقة المؤمنين إلى محاولة اجتثاث جذور الفكر الإسلامي، وإزالة آثاره من السلوك الاجتماعي في أي مرتبة من المراتب، كل ذلك يتحرّك في إطار خطة تعمل على الحيلولة دون امتداد الصحوة الإسلامية إلى آفاق الأمة المتطلعة إلى الإسلام، وبذلك أصبح الكتاب الإسلامي، والتردد على المناطق المقدسة، والتجمع بين الشباب الواعي وإحياء الشعائر الإسلامية من موارد الملاحقة من قبل أجهزة القمع، بل وصلت في بلدان أخرى إلى درجة أكثر حرجاً وهي أن تتطاول يد الإثم لتحد من مظاهر الصلاة والحجاب وكل ألوان السلوك الإسلامي، في مثل هذه الظروف التي تحيط بالأمة عامة والعاملين الواعين خاصة، والتي يقابلها إحساس عميق بالمسؤولية للعمل على تطبيق

أحكام الإسلام، وحمل لواء عملية التغيير الإسلامية، لإنقاذ المحرومين يكون دور الوسيلة التي تتصف بكل ما يؤمّن لها من مستلزمات النجاح والكفاءة في مواجهة تلك الظروف أكثر أهمية وواقعية.

نحن حين ننظر إلى الأساليب المُتبَعة في مثل هذه الأجواء نراها تتصف بما تتصف به الصيغ التنظيمية في العمل حتى ولو لم تسمّ ِنفسها تنظيماً، فالمركزية في العمل، والتكتم على الروابط بين المجموعات، والتربية والتثقيف الموجَّهان، والحضور في وسط الجمهور وتحريكه باتجاه عملية التغيير والتحرر، وما إلى ذلك من مواصفات هي عين ما يستهدفها التنظيم الإسلامي، وستبقى تلك الحجة قائمة مادامت مبرّراتها متوافرة، ولا تنتفي إلا بانتفائها.

ربما نواجه بين الحين والآخر عملاً خاطئاً بل مُضِرّاً في هذا العامل أو ذلك، بل في هذه المجموعة أو تلك، إلا أن ذلك لا يبرّر أن نسحب الخطأ من الأفراد إلى الركب الجماعي العام الذي يمتلك مقوّمات العمل من أجل الإسلام، وهذه الحالة لا يخلو منها وسط من الأوساط خصوصاً أنها أوساط عمل لا أوساط تنظير، وعمل اجتماعي تغييري في وسط شائك، لا أي عمل، وعليه فمن الطبيعي جداً أن يقع العاملون في أي طريقة من الطرق، ببعض الأخطاء، وهذا يتطلب تسديدهم بالنقد البناء، وعليهم أن ينفتحوا على ذلك النقد؛ ليتزودوا منه، وبذلك تتطور نظريتهم في العمل على هدى النقد، ويشكل رافداً من روافد التقويم، فالثابت في التنظيم الإسلامي هو الهدف.

عليه لابد من مراجعة الأعمال؛ لأنها ضمن دائرة المتغيرات التي أباحها الشارع المقدس على هدي الأحكام، ومع ذلك لابد أن يتعمّق عند المنظم المؤمن شعور الارتباط بالله (سبحانه وتعالى)، وإحساس الانشداد إلى الهدف من أعماقه؛ لينعكس على تعامله بالنظرية التي اتخذها وسيلة لخدمة الهدف، وتكون النظرية، ومن يعمل بها دائماً في خدمة الإسلام، ومتغيرة بناءً على أساس تحديد مصلحته، كما إنها في الحالة هذه لا يمكن أن تكون حاجزاً دون الانفتاح على إخوانه المؤمنين ممن يتبنـّون نظرية أخرى في العمل، فإن الذين ينغلقون على إخوانهم في العمل، أو - لاسمح الله - يستاؤون منهم لا لشيء إلا لأنهم يختلفون عنهم في الأسلوب، لابد من تمييز موقفهم هذا، هل هو من نظريتهم في العمل، فنحكم حينئذ على تلك النظرية بالعنف والانغلاق والتطرّف، أم إنه ناشئ من ضعف في التطبيق، وبذلك لابد من الفصل بين النظرية وبين من يحملها.

6- هل التنظيم الإسلامي هو نفس التنظيم غير الإسلامي

قدّمنا في معرض الجواب عن السؤال الأول شرحاً لخصوصيات وإن كانت عامة، إلا أنها مأخوذة من زاوية إسلامية في التنظيم، وأشرنا هناك إلى أن خصوصيات أخرى ينفرد بها التنظيم الإسلامي من حيث الأصل لا الزاوية، فضلاً عن التطبيق، فما هي هذه الخصوصيات...

الخصوصية الاولى: معنوية

يتمتع الإسلام بنظرة خاصة للكون والإنسان والحياة يتجاوز بها حدود الحس، ويرتبط بفضلها بجبار السموات والأرض (تبارك وتعالى)، وهذه النظرة تمنح المؤمن فهماً معنوياً للحياة من شأنه أن يدفع المؤمن في أعماله تجاه مرضاة الله (سبحانه وتعالى)، ويجعل حساباته ضمن معادلة التوجه إليه، إنّ نظرة كهذه تجد لها مردودات إيجابية متعددة تنعكس على مساحة الكيان الذي يتحرك فيه، منها:

أ- الاندفاع الذاتي

في الوقت الذي تتفق فيه الأحزاب غير الإسلامية على ابتكار الأساليب المختلفة على مستوى الرقابة الموضوعية التي تسلطها على الفرد الحزبي؛ من أجل ضبط حركته ومنحه زخماً من التحرّك في صالح الحزب وآيديولوجيته وأهدافه، ومواصلة الملاحقة لتثبيته على الطريق نجد الحزب الإسلامي باعتباره يضم المؤمنين العاملين يعيش حالة استثمار الاندفاع الذاتي من أجل الإسلام، والتي تجعل المؤمن الفرد يتحرك تلقائياً بأقصى ما يستطيع من أجل تحقيق أهدافه من دون أن يجد نفسه بحاجة إلى حث خارجي يهبه ذلك التحرك، كما إنه يواصل السير على طريق أهدافه على الرغم مما تعتريه من صعوبات، وما تواجهه من مشاكل، ولا نريد بذلك أن نعدم أهمية الرقابة الخارجية التي يُفترَض بالتنظيم أن يوفرها لتوجيه الأفراد، إلا أننا نميّز بين حركة الفرد التلقائية التي يستوحيها من سعيه للاقتراب إلى الله (تبارك وتعالى)، ونيل رضوانه، والتي تغمر قلبه، وتنعكس على شكل سلوك عملي في كل مجال من مجالات الحياة، وما تحتاجه تلك الحركة من تذكير وتقويم وترشيد، وبين الحركة الآلية للفرد التي يخضع بها لتوجه الحزب، إذ يكون تابعاً آليا لذلك الحزب، وانعكاساً لإرادته، يسرع أو يبطئ، أو يتوقف مع سرعة أو بطء أو توقف الكيان الحزبي الذي ارتبط به، لا يتذوق

طعم الرضوان، ولا يتحسس عظمة الهدف الذي يعمل من أجله من دون أن نعدم الجوانب المعنوية من خلال الإيمان بالقضايا الوطنية أو الإنسانية أو الآيديولوجية التي تمثل هي الأخرى بالنسبة للمؤمنين بها والعاملين من أجلها دوافع ذاتية - بمقدار عمق القناعة بها، ومدى الإخلاص لها- إلى حد ما، ولكن ليس كمن يرتبط بعالم ما وراء المادة، ويتطلع إلى رضوان الله (سبحانه وتعالى).

ب-<u>العطاء</u>

الأخذ والعطاء قانون يحكم سلوك الإنسان في كثير من الأحيان بغضّ النظر عن اتجاهه ومستواه، فهو لا يجد ما يبرر عطاءه في موقف ما إلا ويتصور ما يدرّ عليه ذلك العطاء من أخذ إن آنياً أو لاحقاً، وحين تتطلب طبيعة الأمر عطاءً أكبر تتخلله التضحيات، وسلوك طريق تكتنفه المشاق يكون تحكيم هذا القانون بدرجة أشد، والإسلامي لا يشذ في تعامله عن هذا القانون، إنما يحسب حسابه في ذلك أنه يبتغي وجه الله – تعالى -، ويبيع دنياه لآخرته، ويتطلع بعين الطموح لما أعدّ له خالقه من النعيم في الجنة يوم القيامة، ورضوان من الله أكبر، إنّ سلوكاً كهذا قائماً على أساس العطاء الزاخر الضخم وبالمستوى النوعي المقرون بالتضحية يجعل حركة الفرد الإسلامي منسجمة مع مجمل حركة الكيان الإسلامي في تناسق إيماني أخلاقي رفيع، من شأنه أن يجعله يسترخص كل غالٍ ،ويستهين بكل صعب.

ج- <u>سلامة البناء التنظيمي</u>

إن الشكل الهرمي الذي يتميز به التنظيم أو البناء التنظيمي الإسلامي يقوم على أساس إسلامي يضمن تجاوب الموقع الأعلى في سُلـَّم المسؤولية مع الموقع الأدنى، كما يضمن في الاتجاه الآخر نفس التجاوب من قبل الموقع الأدنى باتجاه الموقع الأعلى، هذا الأمر جوهري في الحزب؛ لأنه يعكس في الأحزاب غير الإسلامية غير ما يعكس في الأحزاب الإسلامية من حالة التنافس والمزايدة؛ لتحقيق الامتياز من خلال فرز الموقع الأعلى؛ مما يؤدي إلى حالة انفصال بين مشاعر كلا الشريحتين، وهذا ما يجعل الذين يتحركون في موقع المسؤولية في حالة ترصّد دائم من قبل أولئك الذين هم أدنى منهم في التنظيم.

كما يجعل المتصدّين في وضع يسعون فيه لاستهواء الآخرين في نفس التنظيم، وتستشري هذه الحالة، ليتحوّل التنظيم إلى حركة في داخله تستهلك جزءاً كبيراً من جهده وطاقته، وتجعله عرضة لبروز مجموعة ظواهر، منها: إشاعة روح الكراهية في

داخل التنظيم، وتعدد بؤر الاستقطاب، وتسلّق الماكرين إلى مواقع المسؤولية، فيما يشهد التنظيم الإسلامي وبفضل البعد الأخلاقي الذي يتمتع به المؤمن المنظم تتوافر حالة من الانسجام والتوافق والاتزان بدافع القربة إلى الله (سبحانه وتعالى)؛ مما يجعله يترفع عن المزايدات، بل يتهيّب من المسؤولية، ويخشى حساب الله (سبحانه وتعالى) خصوصاً عندما يرى أن الذين يتحركون حوله من إخوانه فيهم من عناصر القوة ما يجعلهم مؤهلين لحمل المسؤولية، ولذلك يحاول أن يبتعد ما أمكنه ذلك، ولعل حرصه على خدمة العمل طريقاً لخدمة الإسلام يدفعه للتطلع إلى الأكفاء من إخوانه، وبذلك تكون ولادة الموقع الأعلى في المسؤولية ولادة طبيعية، ينسجم فيها الأكفأ، ويتعاطف معه الأقل كفاءة، وتسود دائرة التعامل معهم روح الثقة والمحبة؛ مما يجعل الحزب من داخله غير مستهلك في الحالات المَرَضية التي تُمنى بها الأحزاب غير الإسلامية، وبذلك يكون الهيكل التنظيمي بؤرة استقطاب رئيسة في الوسط الاجتماعي، وتمكّنه من إسداء خدمة كبيرة للإسلام من دون أن ينشغل في مشاكله الخاصة من داخله، وهكذا تقوى بنية الحزب من داخله، كلما ضمرت الطموحات الذاتية الشخصية للأفراد، وكلما كان على مستوى العموم أكثر واقعية لتشخيص الأكفاء ودفعهم إلى المسؤولية.

لكن لا يعني هذا أن الأحزاب الإسلامية تكون متعافية بالضرورة دائماً من الحالات المَرضَية التي ذكرناها، بل قد تصاب بها من خلال ضعف الجذوة الإيمانية، وغياب البرنامج التربوي، و من ثم ابتعادها عن النظرية الإسلامية في التغيير، كما إنه لا يعني بالمطلق فشل كل التنظيمات غير الإسلامية في مواجهة تلك الأمراض، إلا أن الأصل والقاعدة هو أن من يُفترَض به أن يرتبط بعالم الغيب، ويبتغي وجه الله (سبحانه وتعالى) أقل وقوعاً بكثير جداً في تلك الأمراض، ممن يقتصر على المعايير المادية في عمله.

د- <u>خدمة الإسلام والذود عن سبيله</u>

إن الجو الذي يعيشه الحزبي مع إخوانه قد يطغى عليه حالة النفور من الآخرين، لا لشيء إلا لأنهم خارج الهيكل التنظيمي الذي ينتمي إليه، وهذه الحالة تنشأ في مرتبتها الأقصى من شعوره بأن الحزب هو الهدف والعياذ بالله، أو في مرتبتها الأدنى من عدم إيمانه بجدوى أي وسيلة تنظيمية أو غير تنظيمية أخرى غير الوسيلة الحزبية التي آمن

بها. وفي كل الحالات ينم ذلك الشعور عن ضعف في الجانب الروحي والأخلاقي، أما أولئك الذين اندكت شخصياتهم في بوتقة الإسلام، فلا يجدون ما يبرر ابتعادهم عن إخوانهم الذين يلتقونهم في الهدف، حتى إذا لم ينخرطوا في صفوف نفس التنظيم، هذا الإحساس عندما يتعمّق يدرّ بالنفع على الإسلام، لانه هو الهدف الذي يتحرك نحوه الجميع، ويتقارب من أجل خدمته العاملون بأساليب مختلفة.

هكذا يعيش التنظيم الإسلامي حالة من الانفتاح على الأمة وعلى العاملين في مواصلة السير لتحقيق ذلك الهدف الإسلامي المقدس، كما تعيش الأمة حالة من تعدد الفرص في الأساليب التي تجعل حركتها في إطار الإسلام وباتجاه أهدافه، وهذا لا يعني عدم الانفتاح على القوى السياسية غير الإسلامية، بل الانفتاح عليها يكون بدرجة أكبر، كلما التقى التنظيم الإسلامي مع هذا الطرف أو ذاك بدرجة أكبر على أسس المشتركات والثوابت الوطنية، وعلى أسس العقلانية والموضوعية وإقرار التعددية وتبني منهج الحوار والتعايش.

هـ - <u>ضمان وحدة حركة الحزب على مستوى الخط</u>

إن الخط الذي ينتهجه الحزب من الناحية الفكرية، وما يعكسه على الأفراد من خلال تربيته لهم من الناحية العملية يجعل الكمّ المنتمي له يتحرك بشكل متماسك ومتراصّ، إذ إن التنظيم الإسلامي إنما شقّ طريقه لغاية مقدسة، هي مرضاة الله (سبحانه وتعالى)؛ ومن أجل تحقيق أهداف سامية هي أهداف الإسلام، وأهداف الوطن، ومن ثم فهو باعتباره وسيلة في مرتبة أدنى، من مرتبة الغاية، ومرتبة الهدف، وهذا هو الذي يجعل الحزب الإسلامي في ملاك الوسيلة دائماً يُثري الوسيلة، ويعمّق الإسلام في نفوس الآخرين، لكنه من موقع الالتزام لا يضع نفسه في ملاك المبدأ على غير ما تشهده بعض المبادئ العلمانية من حالة من هذا القبيل، إذ إن الفكر والعقيدة التي يؤمن بها ذلك الحزب نشأت، وترعرعت في أحضان الحزب، وبذلك كان إطار الحزب من هذه الناحية أكبر من محتوى المبادئ، كما إن التفاوت في وجهات النظر داخل الحزب أخذت وبسرعة بُعداً مبدئياً؛ لأنها من وضع الإنسان الذي قد لا يجد وفق المعايير المادية ما يبرّر الإذعان لأخيه الإنسان في حال الاختلاف، ومع تفاقم هذه الحالة أدى اختلاف قيادات تلك الأحزاب إلى شرخ في العقيدة المتبناة من قبلهم، كما عكس من الناحية السياسية اتجاهات متضادة في ما بين الفرقاء المختلفين، وانتشرت انعكاساتها ونتائجها السلبية في الساحات التي تحركت عليها تلك الكتل السياسية المتناحرة.

إن الإسلاميين العاملين - سواء كانوا يعملون في إطار التنظيم الواحد أو في أطر تنظيمية متعددة - كلما كان اندكاكهم بالإسلام كمبدأ اكثر كان انشدادهم بالله (سبحانه وتعالى) أقوى، وكان تحركهم إلى بعضهم أقرب، وبذلك يكون وعيهم الميداني عاملاً لجمع الشمل، ودافعاً لتوحيد الحركة، حتى إذا كان التحرك الإسلامي بفصائل متعددة، وحتى إذا كان المتحركون في الفصيلة الواحدة يلتقون على الخط، وليس التشكيل التنظيمي.

الخصوصية الثانية: مبدئية

حركة الإسلام المنظمة على ساحة الواقع ليست عفوية على مستوى الهدف، أي إنها مرتبطة بهدف تغييري شامل، كما إنها مترابطة بهدف تغييري شامل، كما إنها ليست عفوية على مستوى المنطلق الفكري، أي إنها تسير على هدي الأحكام الشرعية التي تؤلف الشريعة، وهذا يعني أن الحزب الإسلامي وباعتباره وسيلة تغييرية من وسائل العمل يمارس التغيير في داخل أفراده بشكل شامل، ومن خلالهم يمارس عملية التغيير في أوساط الأمة، ولا يقف التنظيم الإسلامي بناءً على ذلك سلبياً (بدون موقف) تجاه أي ظاهرة انحراف، أو ابتعاد عن الإسلام؛ لأن مقاومة مثل هذا من صميم مسؤولياته في الأمر والنهي عن المنكر, كما إنه لا يقف عند حدود إقليم ما أو قومية ما, بل يمتد إلى حيث تمتد الأمة الإسلامية, وإلى حيث يمتد طموح الإنسان, هذا عندما يكون رائده المبدأ وهو الإسلام، ومجال عمله العالم كله كساحة للإنسان، ولا يمكن للتنظيم الإسلامي أن يقوى على مهمة كهذه ما لم يوفر لنفسه كتنظيم حصة وافرة من المبدأ يستطيع من خلالها أن يواصل السير, ويبني جهازه على هدي الإسلام, وبذلك يكون الحزب أمام مسؤولية تعميق الفكر الإسلامي في نفوس أفراده, كما كان مسؤولاً عن تبنّي والتزام الفكر في مرحلة نشوئه.

إن التنظيم الإسلامي الذي يدرك مهمته التغييرية في مثل هذه الظروف يدرك بالطبع الحاجة الماسّة إلى التعبئة الفكرية الإسلامية, وإلا سيخرج - والعياذ بالله - عن دائرة الإسلام, حتى إذا كان في أول نشوئه؛ لذلك كانت المبدئية خاصية أساسية للحزب الإسلامي, وأن الضعف الذي يبدو على البعض في السلوك قد يرجع أحياناً إلى ضعف في البنية الفكرية لهذا الكيان أو ذاك, أو ضمن الكيان الواحد لهذا الفرد أو غيره، ومرة

أخرى نصل إلى نتيجة وحدة التحرك الإسلامي في حال توافر فصائل هذا التحرك على أكبر حصيلة مبدئية ممكنة.

الخصوصية المبدئية ليست فقط تنمّ عن وحدة المنطلق, وإنما تنمّ أيضاً عن وحدة الهدف، ووحدة المعيار المتحكم في المسيرة، وبهاتين الخصوصيتين يتمتع التنظيم الإسلامي - من حيث الأصل - بما لا يتمتع به أي تنظيم غير إسلامي، ويندرج ضمن الخصوصية الأخلاقية كل ما يترتب على الفهم الأخلاقي للحياة من حسابات غير مادية تحكم التنظيم ومن ينخرطون فيه، فيما يندرج ضمن الخصوصية المبدئية كل ما يتميز به المسلم العقائدي من حيث الواقعية والهدفية, وما إلى ذلك من المميزات التي يستوحيها من الرسالة.

7- هل هناك تنافٍ بين التنظيم ومجتمعنا

لابد أن نميّز في البداية بين المألوف وغير المألوف في العرف, عما هو الجائز وغير الجائز فيه، وهذا البحث ليس من اختصاص هذا الموضوع, إنما الذي نريد أن نشير إليه إن معنى عملية التغيير هو حث خطى المجتمع على المضي في طريق التكامل, وأن هذه العملية لا تقف في يوم ما، يقول أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه):

(من تساوى يوماه فهو مغبون).

وعليه فليس كل أمر غير مألوف لدى المجتمع مدعاة لصرف النظر عنه, وإلا لتوقفت عملية التغيير وتهددت بالخطر, إنما الذي يُراد في المقام أن تكون الممارسة التغييرية منطلقة من الإسلام, وتصب في خدمة الهدف الإسلامي, مراعية لمعاييره بعد ذلك يراعى في اختيار الأسلوب أن لا يكون منفصلاً عن حركة الأمة؛ لأنه يفقد حينئذ القيمة التغييرية التي أنشئ من أجلها. والمراعاة في الأسلوب لا تغيّر من الحقيقة شيئاً, بل تجعل العمل التغييري أكثر تقبّلاً لدى المجتمع, وعليه كانت المرحلية في العمل, وكان مبدأ التدرج في ممارسة التغيير والتنظيم الإسلامي؛ وبحكم كونه إسلامياً لابد أن يتوافر على كل الخصوصيات الإسلامية, ويبقى أن يكون غير منفصل عن حركة الأمة, وهذا سيكون متوقفاً على مدى إسلامية ذلك الأسلوب في التنظيم, وأن هذه الظاهرة ألفتها الأمة منذ زمن بعيد.

إن التنظيم وإن كان قد اقترن بالعمل الإسلامي إلا أن العمل الإسلامي في تاريخه وحاضره حافل بالصيغ المنظمة من جانب, ومن جانب آخر فإن طبيعة الظروف التي تمر بها الأمة، وتشهد ملابساتها, وكل ما يتعلق بطبيعة الساحة وطبيعة المتسلطين على رقاب الأمة, أو القوى السياسية العاملة في وسطها, أو احتدام الصراع مع القوى الدولية المعادية للأمة وعقيدتها, وما إلى ذلك من ظروف يجعل العمل في أي وسط في غاية التعقيد, ويجعل الأمة وهي شاهدة على ذلك في غاية الاستعداد لتقبّل الأسلوب الأنجح؛ لإعادة الإسلام إلى واقع الحياة آخذةً بنظر الاعتبار أن الأساليب تتبلور على ضوء الظروف المختلفة التي يمر بها هذا البلد الإسلامي أو ذاك, إضافة إلى أن التنظيم وفي كثير من مرافق الحياة صار ظاهرة شائعة في أوساط الأمة, ولعل بعضه يحمل من التناقض مع مبادئ الإسلام ما يجعله في بداية الأمر غير مقبول, ولابد أن يظل غير مقبول, لكن عدم تشخيص الأمة لذلك الخلل جعلها تتطبع عليه.

إن التنافي من وجهة نظرنا هو في ملاك التعارض مع الحكم الشرعي, أما مع ما يريده العرف فذلك مأخوذ بنظر الاعتبار من زاوية الحكم نفسه, إذ لو كان العاملون الإسلاميون في الخيار في أسلوب العمل بين ما هو مألوف وغير مألوف, فلا معنى للجوء إلى ما هو غير مألوف, ولكن الظروف الاستثنائية التي تحيط بالأمة تجعل العاملين أمام أسلوب معيّن, فلا يوجد ما يبرّر عدم الأخذ به.. هذا إذا افترضنا أن أصل التنظيم مُنافٍ للعرف, بينما نجد أن الأسس التي يقوم عليها التنظيم من الجماعية في العمل, إلى السرية في مراعاة الظرف, إلى وحدة الموقف, إلى توزيع المسؤوليات, إلى غير ذلك مستوحاة كلها من الإسلام العزيز ليس إلا، كما إن استعداد الأمة للتكيف مع الممارسات الشرعية التي لم تألفها في بعض الأحيان أكثر من استعدادها للتكيف مع عادات وتقاليد أجنبية عليها دخلت تحت لواء العلم والمؤسسات الخدمية وما إلى ذلك.

نحن نحس أن أحد أخطر أساليب القوى المناوئة للإسلام هو جعل الأمة في حالة استيحاش لكل ما من شأنه أن يعيد للإسلام وجوده في حياتها؛ حتى يجعل الإسلام نفسه في النهاية غريباً على الأمة, ولذلك وفي مثل هذا المجال لا ينبغي أن نعبأ بشيء من الغرابة, إذا كانت ستمثّل عامل إعاقة في طريق الإسلام.

لقد شهدت الأوساط في فترة من الزمن استغراب الحجاب الإسلامي للمرأة المسلمة, كما شهدت استهجان ظاهرة اللحية، وكل ألوان التزيّن بزيّ الإسلام, فلو إن عامل الحكم على كونها غير مألوفة كافٍ لعدم الإصرار على فرضها, لما حفلت تلك الأوساط فيما بعد بالظواهر الإسلامية بعد أن غابت عنها لفترة طويلة من الزمن.

إن الظروف الصعبة التي تعيشها الأمة تجعل في كثير من الأوساط الأسلوب المنظم أكفأ من غيره لحمل أمانة الإسلام, ثم إن الأسلوب لا يعني في مجال الممارسة، ولا حتى في مجال التنظيم أنه مطروح بديلاً عن الأساليب غير المنظمة.. إن كلمة العرف لها مكان في الشرع, لكنها ليست بديلة عن الحكم, فإن كلمة: (هذا عيب، وذلك مناسب) لا تؤخذ بنظر الاعتبار, إلا إذا اتجهت نحو الحكم الشرعي أو على الأقل لا تتنافى معه؛ لذا يفترض أن يشاع في الأجواء ما يدل على الحكم في دفاع الأمة بدلاً من حركة العرف التقليدي في واقعها, ولذلك ينتظر أن يكثر في الأوساط: (هذا مستحب, وهذا مكروه, وهذا مباح, وهذا واجب, وهذا حرام).

في سياق هذا اللون من التعامل لا نجد ما يمنع من استخدام الأساليب الإسلامية التي تخدم الهدف, وتعمل على توعية الأمة، أضف إلى ذلك أن العرف الاجتماعي لبعض البلدان الإسلامية يدرك قبل غيره مدى تماسك العمل الإسلامي المنظم لحمل مهمة الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بممارسة عملية التغيير والتضحية من أجل الإسلام، ولقد شهد على سبيل المثال المجتمع العراقي المسلم على حسن دور التنظيم الإسلامي على مستوى حمل الأمانة, وبث الفكر, وتجسيده بالسلوك والتضحية من اجله.. أقول: لقد شهدها خطوة, وشهد كذلك كيف شرعت العملية التغييرية على المستوى الاجتماعي, وكيف ارتقت إلى المستوى الاجتماعي, وكيف ترعرعت هذه العملية, وكيف ارتقت إلى مستوى المواجهة, وكيف حفلت تلك المسيرة بالتضحيات.

إن أوساطا واسعة عاشت في ظل عملية التغيير الإسلامي الهادفة, والتي اقترنت بمسيرة العمل الإسلامي المنظم, وهذا أدل شيء على تقبّل الأمة للتنظيم الإسلامي الهادف.

8- هل التنظيم يعني إلغاء قدرات الأفراد

التنظيم عندما يخاطب فرداً على مستوى العمل الإسلامي؛ لغرض الانضمام, يُفترَض أنه استكمل حلقات التربية، وتكامل بناء الشخصية ولو بالحد الأدنى, وهو في مرحلة المخاطبة من الناحية الروحية والثقافية والسلوكية, ثم يعمّق عنده أهمية الجهاد في سبيل

الله, والعمل على إقامة أحكامه، ومع تصاعد إيمانه بهذه المبادئ يشعر بالحاجة أكثر من أي وقت آخر إلى ضرورة التنظيم؛ لغرض تمرينه بالنظرية المناسبة للتحرك في أي وسط, ولإعانته في التصعيد التربوي, ولضبط حركته الفردية مع حركة الأمة المتماسكة في الموقف, والتي تعيش حالة الترافد بالتجربة وتبادل الخبرات, ثم إنها تتحرك في إطار الجماعة التي يمتد ذراعها إليه إلى ما لا يمتد إليه ذراع الفرد.

هكذا يلتقي التنظيم مع الفرد المخاطب به, فهو (التنظيم) في الوقت الذي يضع كامل ما لديه من فكر وتجربة وتوجيه للأفراد يريد منهم مضاعفة الجهد في الارتقاء على السُلَّم التكاملي الذي يضفي عليه فرقاً نوعياً في الاتجاه, وفرقاً كمّياً في قطع الشوط على كل صعيد من أصعدة السلوك.. فالتنظيم يريد من الفرد الذي يرتبط به أن يتحلى بقدرة تغييرية عالية لممارسة عملية التغيير, وذلك يترتب عليه أن يتحلى بصدر أوسع مما كان عليه يوم كان يتحرك في الملاك الشخصي, كما إنه هو بالضرورة يجد نفسه أمام حاجة ماسّة للتحمّل، والتحلي بالصبر، وبقدر أكبر من السابق؛ بسبب فرق الرتبة التي هو عليها الآن في الحزب عن الرتبة التي كان عليها يوم كان شخصاً منفصلاً عن الحزب.. يبقى أن نشير إلى أن حالة التواكل قد تنتاب بعض الأشخاص, وهذه حالة مَرَضية يعتمد فيها الفرد على الحزب؛ مما يجعل زخم حركته بعد الانتماء أقل مما كان عليه قبل ذلك, وهذه حالة مرفوضة, والعلاج يقوم على قدم وساق؛ للتخلص منها، كما إن حالة أخرى وهي أن يبقى الفرد يفكر بنفس المستوى الذي كان يفكر عليه قبل الارتباط, أو يتعامل على مستوى الانفعال ومحدودية التحمّل بنفس التفكير والانفعال الشخصي, وهذا هو الآخر أمر مرفوض كذلك.

إن معنى أن يرتبط المؤمن في تنظيم إسلامي يعني عليه أن يكون رافد قوة للتنظيم من خلال الارتقاء إلى مستوى مسؤولية الحزب بالفكر والسلوك, كما يعني أن يكون مراجعاً واقعياً لأفكار الإسلام وأحكامه, وعامل دفع باتجاه رسالته؛ وعليه من المتوقع والمفروض أن يكون الفرد المرتبط بالتنظيم أعلى مستوى وأكثر عطاء مما كان عليه في مقطع سابق, وهكذا كلما اندكّ في التنظيم زاد عطاؤه, وكثرت تضحياته, وهذه هي دالة ارتقائه على سُلَّم النمو والتكامل.

إن الإسلامي الفرد وهو يتحرك على هذا الملاك، قد لا يجد بعض ما يبرّر تحمّل الآخرين عند صدور بعض السوء من قبلهم, خاصة أن كان يصبر نفسه أحياناً على تحمّلهم, فإن ذلك يمتد إلى حد معيّن، أما الذي يرتبط في كيان إسلامي فهمّه إحداث التغيير الإسلامي الشامل, وهو يحمل هذه الأهداف الكبيرة, يجد نفسه أن خياراته في

الرد محكومة بما تدرّ عليه من ربح إسلامي تغييري من قبل المخاطبين بالتغيير, وهذا ما يجعله أكثر إحساساً بالمسؤولية, وهو بمقتضى ما يريد أن يكون أكثر وعياً في التغيير.

إن الأحزاب غير الإسلامية تعد منتسبيها غالباً بأهداف دنيوية معيّنة قد لا تتعدى دائرة البلد أو البلدان التي تشترك في قومية محددة, والتي ينطلق منها ذلك الحزب, وبذلك تكون محكومة بحسابات مادية تجعل الفرد تبعاً؛ لذلك لا يستطيع أن يخرج من شرنقة التحرك الوطني أو القومي, وبذلك تكون حبيسة في أقصى مداها ضمن ذلك الإطار الدنيوي الضيّق, بينما التنظيم الإسلامي يريد من أفراده أن يتحوّلوا إلى حاملي مبادئ مغيّرين انطلاقاً من تغيير أنفسهم, وحيث إن تجربة عمل الحزب الإسلامي عريقة من حيث القدم, وواسعة من حيث الانتشار الأفقي فلا يجد أفضل دليل على حالة تهيئة فرصة التصعيد التي يوفرها الحزب لأفراده من الاستقراء الذي يعكس بما لا يدع مجالاً للشك بما حققه الحزب الإسلامي من اطراد في نمو أفراده عل مستوى بناء شخصيتهم، وعلى الصُعُد كافة، وكذلك على مستوى تربية أبناء الأمة التي انطلق من أجلها الحزب، ومن أجلها يعمل خير شاهد على ذلك.

9- هل عجز التنظيم عن ممارسة عملية التربية الإسلامية

عملية التربية الإسلامية التي تشتمل فيما تشتمل عليه على إحداث الانقلاب الكامل في الشخصية، وبالشكل الذي يجعلها تتجه وتفكر، وتتحرك في إطار الإسلام صعبة وشاقة، ومما يزيد في صعوبة ومشقة هذه العملية أنها تمارس في وسط اجتماعي تتفاعل فيه مجموعة عوامل نفسية واجتماعية وسياسية تصب في المحصلة العامة في غير صالح الإسلام، وعلى الرغم من كل ذلك فإن الإسلامي حزباً أو فرداً لا يرى نفسه في الخيار، بل هو أمام طريق واحد وهو ممارسة عملية التغيير داخل الأفراد، ومن خلال الأكفاء منهم إلى عموم الأمة.

إن البون الشاسع بين ما كانت عليه الأمة قبل العقود الأخيرة، وبين ما يريده الإسلام كان قد جعل حالة من اليأس قد أطبقت على الكثير ممن يُتوقـّع منهم أن يكونوا مبادرين في العمل في الأوساط الاجتماعية المختلفة وأجواء الجامعات، وفرص العمل الأخرى بشكل عام، وكذلك باقي الأوساط كانت تتحرك في غير صالح الإسلام، وحين شرعت مسيرة العمل في مثل هذا الجو، وواجهت هذه الأعاصير بصبر وثبات، وتخطت تلك

العقبات، وبالشكل الذي جعلت هذه الأوساط تحفل بأرقام إسلامية متحركة تحمل الإسلام على مستوى تطبيق الشريعة، وعلى مستوى التجسيد السلوكي معتمدة على نظريتها التربوية في بناء الشخصية الإسلامية.

إن الأحزاب الإسلامية إذا كانت تتميز عن غيرها من الأحزاب غير الإسلامية من حيث الأفراد المرتبطون بها، وطبيعة الأهداف التي تريد تحقيقها فإن الأحزاب الإسلامية هي الأخرى تختلف فيما بينها على أساس تبنّيها عملية التربية من حيث الأفراد المرتبطون بها.

إن عملية التربية ليست أمراً سهلاً يحصل من خلال التلقين، إنها إضافة لاعتمادها على فكر إسلامي عميق وشامل يتكفل بأحداث التغيُّر الكامل في الشخصية، يتطلب أن يمر الإنسان في سلسة من الابتلاءات والمحن؛ لكي يتفاعل مع هذه المفاهيم من موقع المعاناة وعمق الاعتقاد بها.

إن أفضل فرص التربية لأي فرد هي أن تكون عملية الانصهار بالمبادئ في أجواء التحدّي أي تلك التي لا تتناغم مع تلك المبادئ، ومن هنا تميّز مسلمو مكة قبل الفتح عنهم بعد الفتح.. إن المحن تساهم بدرجة كبيرة في وضع الشخصية على الطريق المستقيم، وتجعله أقرب إلى الله - تعالى - من أي وقت آخر، وعليه فإن عملية تربية الفرد تحتاج في الأعم الأغلب إلى وقت طويل، وعملية بناء كيان التنظيم الإسلامي على أسس تربوية إسلامية تحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد، لكنها بلاشك أكثر عطاءً واستقراراً وتعود بفوائد أكبر على الإسلام.

من هنا كان النهج التربوي على صعيد المفهوم والسلوك الرسالي، وعلى صعيد المصداق هو الشاخص للأمة على مستوى الخط والتوجيه، يضاف إلى ذلك حقيقة أن الفرد الذي تلتقيه حاضراً هو نتاج عوامل متعددة ترجع إلى ماضيه وماضي الكيان الذي يرتبط أو كان قد ارتبط من قبل به، فظاهرة السباحة ضد تيار الانحراف في مجال السلوك الإسلامي, وظاهرة حمل لواء الإسلام في الأوساط كافة، وظاهرة تحدّي الانحراف والثبات على الإسلام, وظاهرة التضحية من أجل الإسلام, وبالشكل الذي تمتلئ فيه السجون بالمجاهدين، ويعانق الكثير منهم أعواد المشانق من أجل العقيدة، وثباتهم أمام صور التعذيب الرهيبة من أجل الإسلام، كذلك ظاهرة انتشار الحجاب الإسلامي، وانتشار مختلف مظاهر الوعي في هذا الوسط أو ذاك, وظاهرة اقتحام العاملين الأوساط في البلدان الأوروبية, وبث المفاهيم الإسلامية, والحفاظ على السلوك

الإسلامي المسؤول, وظاهرة تقديم التضحيات في كل مجال يتطلب ذلك, من أجل الإسلام, سواء في جبهات القتال التي يدافع فيها المجاهدون عن حياض دولة الإسلام, أو في التضحيات الجهادية التي تصب في إنقاذ الشعب العراقي المسلم من الطاغوت المتسلط عليه, أو في أي مجال آخر، وظواهر أخرى كلها تدل على سلامة التربية, إذ إننا نتعقل أن سلوكاً هذه مصاديقه في جو يغصّ بالتناقضات ينمّ عن فكرة وتوجّه روحي صادق، ومثل هذه النظرية الموضوعية لا تؤدي إلا إلى هذه النتيجة بعد هذا الاستطراد في جواب السؤال: (لماذا التنظيم), نقف؛ لنتساءل: هل التنظيم استنفد أغراضه, أم لايزال فيه عنصر الحيوية والمعاصرة؟

إن النظرة الشاملة على ضوء الرسالة المقرونة بالأفق الواسع لحركة الأمة بكل ظروفها وملابساتها تجعلنا أمام تقرير حقيقة أننا بحاجة إلى التنظيم الإسلامي الذي يتعبد بالإسلام، ويؤكد قصد القربة إلى الله (سبحانه وتعالى)، وكونه وسيلة أكثر عطاءً في العملية التغييرية, ويؤكد مبدئيته الإسلامية, وينمّي عند أفراده روح التضحية من أجل الإسلام وقيمه في العدل وكرامة الإنسان أياً كان انتماؤه والتحرر والسلام.. هكذا يفهم الداعية ومن خلال الإسلام الحزب والتنظيم الإسلامي, هكذا يريد منه أن يكون, وثباته على التنظيم يتأتى من ثبات التنظيم على مبادئ الإسلام.

إن الإسلامي الحزبي هو إسلامي قبل أن يكون حزبياً, وإسلامي مع كونه حزبياً, وينطلق في حركته من الإسلام كمرتبة أعلى فوق كل اعتبار وقبل أي وسيلة, والوسيلة الناجحة هي التي تنمّي عنده هذا الاندكاك, ومادام مثل هذا الشعور راسخاً في نفس الداعية, والتديّن هو قاعدته بالانطلاق للتنظيم, فإنه سيواصل دوره البناء من داخل الحزب, وحتى إذا ترك التنظيم لسبب أو لآخر, فسوف يواصل عطاءه الدعوي الإسلامي من دون توقف، أما إذا كان ارتباطه بالتنظيم هو القاعدة, وإن ثقافته الدينية, وما يمارسه من تثاقف في مجال التعاطي مع إخوانه داخل الحزب أو خارجه كل ذلك متفرِّع من قاعدة الارتباط الحزبي فإنه يظل عبئاً على الدعوة أينما حل, وإلى أي مجال رحل.

10– ما علاقة التنظيم بالمرجعية الدينية

ينطلق التنظيم في علاقته مع المرجعية الدينية من ثلاثة منطلقات لتحديد ثلاثة مسارت:

المنطلق الأول من طبيعة الفكر الذي يربط المرجعية الدينية بالأمة.
المنطلق الثاني من طبيعة العلاقة بين الدعاة، ومن يقلدون من المراجع.

المنطلق الثالث من طبيعة المواقف التي تقتضي الرجوع إلى تحديد الموقف العملي على هدى الشريعة الإسلامية؛ مما يستدعي مراجعة الفقيه الكفء.

المسار الأول:

تتعاطى الدعوة الإسلامية مع منابع الفكر؛ لإثراء مسيرتها؛ لأنها تنظر إلى كل مجال تتعامل فيه, وقبل أن تصوغ نظريتها، وتحدّد أسلوبها, لتعيّن القاعدة الفكرية التي تشيّد عليها صرح النظرية التي تتولى أحداث التغيير في ذلك المجال من المستوى الذي هو عليه إلى المستوى الذي ينبغي أن يكون عليه, ومن دون أن تتردد الدعوة حيال أساطين الفكر ورواد المعرفة من أصحاب الفكر الذين عُرفوا بالعمق والأصالة والمعاصرة؛ حتى تضفي على نظرياتها مبدئياً, وترقى بها إلى مصاف الأصالة والتجديد معاً.

وعملاً بمسلّمة التنظير في كل مجال من المجالات الاجتماعية التي تتحرك فيها الدعوة, سواء في المجال العائلي, أو الاقتصادي, أو السياسي, أو الإعلامي, أو الزراعي, أو أي مجال آخر فقد انفتحت على الفقهاء لاستلهام مبانيهم الفقهية, وصياغة نظرية عملهم فيها على ضوئها, مقدمة للتعاطي مع ذلك الوسط, وحيث زخرت الدعوة الإسلامية في عملية التنظير في مجالات العالم الاجتماعي فإن ذلك قد جاء حصيلة مجموعة عوامل كان تحديد المبنى الفقهي أهمها.

لذا ستبقى الدعوة الإسلامية في تماسّ مباشر مع مراجع المسلمين, كلما امتدت في مساحات التعامل, لتغطيتها بما يتطلب من مفاهيم ونظريات إسلامية, للنهوض بها إلى مستوى الفهم الإسلامي الصحيح، وسيبقى النتاج الفقهي الأكفأ، والفقيه الأكفأ محط احترام الدعوة، وموضع مراجعتها على طول الطريق.

المسار الثاني:

إن الدعوة الإسلامية تضم بين جنبيها جموع الدعاة الذين يقلدون عدة مراجع, وبتعدد المراجع يتعدد الدعاة كذلك في هذا الشأن تماماً, كما يتعدد عموم أبناء الأمة, ومثلما يكون التعدد المرجعي تعبيراً عن (تنوع المُعطي) يكون التعدد المقلدي تعبيراً عن (تنوع المتلقِي), ولم يضِق صدر الدعوة من احتضان هذا التنوع, بل تعتبره نقطة قوة في التحرك, وسعة أفق في الحركة، وهي أي الدعوة حين تحرص على أصل رجوع الداعية إلى مرجع ما أو عدة مراجع على ضوء العمل بفتوى التبعيض في التقليد,

لإبراء ذمته في تحديد التكليف حين يكون دون مستوى الاستنباط والاحتياط, ذلك من وحي الآية القرآنية:

((فأسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون))

لقد عبقت مسيرة الدعوة باحتضان تنوّع المتلقي من أوسع أبوابه إن لم نقُل: إن عوائل الدعاة تشهد تنوعاً واعياً بين أفرادها في الانفتاح على أكثر من مرجع؛ مما يعني أن العلاقة الزوجية والعلاقة بين الأبوين والأولاد لا يتوقف انسجامها على وحدة المرجعية, فكيف والكم الدعوي أكثر عدداً وأشدّ اختلافاً بالنظر في كفاءة الفقهاء؛ من هنا لم تجد الدعوة ثمة ما يبرر بأن تجعل من نفسها واجهة لمرجع ما مهما كانت كفاءته الفقهية أو حجمه في الأمة, كما لا تجد الدعوة مصلحة إسلامية أن تنغلق على مرجع واحد بحيث يكون واجهة لها؛ لذلك بقي الحزب يزخر على طول مسيرته باحتضان مقلدي مختلف المراجع, كما ظلت أمينة على الدفاع عن مكانتهم، لكن ذلك لم يمنع، ولا يتعارض مع حقيقة اشتهار مرجع ما في صفوف الدعاة أكثر من غيره، وهذا تعبير عن قناعة الدعاة، وليس عن قرار من الحزب، والشهرة الأكثر لأي من الفقهاء تعبير عن حقيقة اجتماعية, وليست تعبيراً عن حقيقة حزبية.

المسار الثالث:

إن الحزب يمرّ أحياناً في موارد تتطلب موقفاً جديداً لم يسبق له أن مرّ به؛ مما يستدعي المراجعة على مستوى الاستفتاء في حقل ما أو في أكثر من حقل من الحقول، سواء في الجانب التنظيمي, أم المالي، أم السياسي، أم الاجتماعي، فالدعوة حركة في الأمة, ومفصل أساس في تحريكها، وهي تتحرّى الأصالة في التنظير, والدقة في التطبيق؛ مما يقتضي مراجعة الفقهاء في كثير من الصُعُد, وفي العديد من أبواب الفقه، ولمّا كانت كفاءات الفقهاء متفاوتة في المجال الفقهي من جانب, ومتفاوتة في الأبواب الفقهية من الجانب الآخر, ومع إجماع الفقهاء على جواز التقليد التجزيئي للمكلّفين، فقد كان رجوع الدعوة إلى المراجع في مجالات عملها ظاهرة صحية, لاتنفك عن سلامة المسير, ولا تبتعد عن حرصها عن الارتقاء النوعي على سُلـَّم التكامل؛ من هان عبقت مسيرتها المباركة بالانفتاح على المرجعية على طول الخط, وتعددت في صدقيّتها على مستوى المراجع.

11- دور التنظيم في العمل السياسي

ينتظم المسلسل السياسي في عدة حلقات ابتداءً من الخبر السياسي، ومروراً بالثقافة السياسية، والتوعية السياسية, والمنهج السياسي، والتحليل السياسي، والتنظير السياسي, وانتهاءً بالقرار والموقف السياسيين وسواء عندما كانت الدعوة الإسلامية في المرحلة الثقافية أم عندما انتقلت إلى المرحلة السياسية، فإن الحاجة لكل حلقات المسلسل السياسي قائمة على قدم وساق؛ لأنها في المرحلة الثقافية، وإن كانت بعد لم تخُض غمار المعترك السياسي, لكنها كانت ولاشك في حاجة ماسّة إلى فهم الواقع السياسي فهماً يؤهلها لأداء الدور السياسي بجدارة في الظرف الذي يستدعي ذلك، كما تمارس مسؤولية تأهيل الدعاة لتحمّل المسؤولية بكفاءة.

يبقى الخبر الحجر الأساس في بناء الصرح الثقافي السياسي، ومادة أولية لأي تصور أو تحليل, والذي يكون عادة مقدمة لأي قرار أو موقف سياسي، والذي يكون عادة مقدمة لأي قرار، أو موقف سياسي، وأي خطأ في الأخبار يؤدي بالضرورة إلى أخطاء فادحة في القرارات، وكثيراً ما سُرقت حقائق في التاريخ؛ بسبب الجعل والتزوير، كما عمدت الأجهزة المضادة للحركات بإيقاعها في شراك الأخبار المكذوبة؛ بغية استفراغ إمكاناتها, وخلخلة ثقة الأمة بها؛ من هنا صبّ التنظيم اهتمامه على تقصّي الأخبار على أعلى درجات الدقة, والسرعة, ومعرفة الظروف المحيطة بها, وإفراد فقرة خاصة باللقاء التنظيمي تحت عنوان الأخبار، وحذر من مغبّة الوقوع في هوّة الأخبار المختلقة, أو الاستهلاك في جزئيات الأخبار الهامشية, التي لا تمس واقع الأمة، ولا تساهم في البناء؛ من هنا شدّد التنظيم على ضرورة تحرّي الداعية لأي خبر يورده إلى الحزب, مع معرفة ملابساته، وظروفه، ومصدره, وتحديد درجة أهميته من جانب, وتجنّب تعاطي، ونشر الأخبار غير المؤكدة بين الناس من الجانب الآخر.

تبقى الثقافة السياسية مهمة جداً من الموقع الذي تطل الدعوة فيها على معرفة العوامل التي تلعب دوراً أساسياً في المركب السياسي، سواء على مستوى فهم الخارطة السياسية, أو تحديد المفاهيم والمصطلحات السياسية, أو تحديد عناصر التأثير المباشرة وغير المباشرة في أي فعل سياسي من داخل البلد أو خارجه. والدعوة إذ تؤكد لدعاتها الميامين على ضرورة التحلي بقدر وافر من الثقافة السياسية, لا تريد منهم أن يكونوا مجرّد مثقفين ليس إلا، فإن ثقافة الوعي والالتزام والعمل غير ثقافة الترف والاحتراف، كما إن عملية التثاقف في وسط تلتفّ فيه تيارات سياسية مختلفة تتطلب أن يتحلى الداعية بدرجة عالية من الإحاطة بالقاعدة الفكرية قبل إحاطته بالشؤون السياسية؛ حتى

يتسنى له ممارسة العمل السياسي بالجدارة المطلوبة؛ من هنا دفعت الدعوة بأبنائها إلى الثقافة السياسية على أوسع نطاق، بغية الاستفادة من تجارب الأمم، ومن عِبَر التاريخ:

((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب، وما كان حديثاً يُفترَى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون))

يقول الإمام أمير المؤمنين لولده الحسن (عليهما السلام):

(أي بني، إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عُدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم، قد عُمِّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره...).

أما الوعي والتوعية السياسية فإنها مرتبة متقدمة النمو والتكامل السياسيين، وبالوعي السياسي تتأتى القدرة على سبر غور الوسط السياسي، وما يعتلج فيه من عوامل ضاربة في العمق؛ مما لا يسهل فهمها على بعض المثقفين من الناس، فضلاً عن عمومهم، وبمثل هذه البصيرة النافذة تتأتى للدعاة القدرة على الإحاطة بأسباب وآليات ونتائج الحدث السياسي، وما يمكن التاثير فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.